

الفصل الثالث كيفية مواجهة الغربة الأولى

كيفية مواجهة الغربة الأولى

**(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)⁽¹⁾ .**

إن المهمة التي يجب أن يتصدى لها الباحثون في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، وفي تاريخ الدعوة الإسلامية -عامة- ليست مجرد الرصد التاريخي لمرحلة معينة، وسرد أحداثها، وتدوين وقائعها فحسب.

بل إن المهمة أخطر من ذلك، وهي مهمة تحليل هذه المرحلة، ودراسة ملامساتها، ومعرفة الأحوال المؤثرة وغير المؤثرة فيها، من أجل أن ينطلق المسلمون اليوم في دعوتهم، والتمكين لدينهم من المنطلق ذاته، وقيموا بنيانهم على الأساس ذاته، فهي - إِدًّا - مهمة مزدوجة: تاريخية وواقعية.

وظلم لهذه المرحلة -مرحلة الدعوة الأولى-، كما هو ظلم للمسلمين؛ أن يزعم أحد أن ما يكتبه كافي في الموضوع، كلا؛ بل إن ميدان دراسة السيرة وتحليلها من الميادين التي لا تزال تعاني من نقص كبير، سواء في مجال تمحيص الروايات، ودراستها دراسة حديثة، أو في مجال الدراسة، والتحليل، ورسم الخطط، والمناهج، على ضوء نتائج هذه الدراسة. ولكن هذا لا يمنع من المشاركة والمحاولة بقدر الإمكان.

خطوات بارزة:

منذ أن وُجِّه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى القيام بالندارة والدعوة في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ)⁽²⁾.

انطلق عليه الصلاة والسلام في حركة لا تتوقف يدعو إلى الله تعالى، وقد توجت هذه الحركة بتحقيق النصر، وقيام الدولة، وزوال الغربة، واضمحلال شأن المعارضين.

وبين هذه الانطلاقة، وهذه النهاية، سلسلة من المتاعب، والجهود، والتضحيات الجسام، والدماء، والدموع، والآلام، وقدر كبير ضخم من الأحداث، والوقائع، ما بين ضعف وقوة، ونصر وهزيمة، وفرح ومصيبة.

ولكن المطالع لتلك الأحداث يستطيع أن يرسم خطاً تصاعدياً - من حيث الجملة - لحركة الدعوة النبوية، يتبين من خلاله بعض الملامح البارزة، والخطوط العريضة لتساعد حركة الإسلام.

وقد سارت الدعوة بخطوات متتالية، يندفع بكل خطوة منها قدر من الغربية، ويتحقق قدر من التمكين والاستقرار، حتى اندفعت الغربية بالكلية بفتح مكة، وإحكام السيطرة الإسلامية على جزيرة العرب، ونزل قوله تعالى: **(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)**⁽³⁾. حيث كمل الدين، وتمت النعمة، وهذا يعني زوال الغربية، واكتمال الأمر من الناحية التشريعية، ومن الناحية الواقعية.

وسأعرض - فيما يلي- لأهم الخطوات
المتسلسلة في حركة الدعوة، ثم أحاول عرض
بعض العوامل التي أدت إلى التمكين ودفعة
الغربة.

فأما الخطوات، فأهمها ما يلي:

1- الجهر بالدعوة:

فبعد أن مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين يدعو إلى الله

س
أ من يثق به من قرابته وأصدقائه، أمره الله تعالى بإنذار عشيرته الأقربين، فأنذرهم، ثم أمره أن يصدع بالدعوة، فصدع بها بين ظهرائهم، فصعد صلى الله عليه وسلم على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش، فقال: **أرأيتم لو أخذ بركم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟** قالوا: نعم. ما

جر
بنا عليك إلا صدقاً، قال: **فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**، فقال أبو لهب:

تد
أ لك سائر اليوم. ألهذا جمعنا؟!، فنزلت (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۖ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) (4).

ولقد كانت النتيجة القريبة المباشرة لهذا الصدع هي: الصد، والإعراض، والسخرية، والإيذاء، والتكذيب، والكيد المدبر المدروس، ولكن الأمور لا توزن بهذا الميزان.

فالداعية قد وطن نفسه منذ البداية على تحمل الصد، والإيذاء، ومواجهة الكيد، والعداوة، والحرب، ولم يكن ما لقيه غريبًا عليه، ولقد صارحه ورقة بن نوفل بهذا عقيب أول لقاء لقيه فيه الملك:

عن عائشة رضي الله عنها في حديث بدء الوحي قالت: ... فانطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرءًا قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي فقالت له خديجة: يا ابن عم! اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك!.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
أو مخرجيَّ هم؟ قال: نعم. لم يأت رجل قط
بمثل ما جئت به إلا عودي!، وإن يدركني يومك
أنصرك نصرًا مؤزرًا...⁽⁵⁾

ولكن الأمر المهم في قضية الصدع والجهر
هو نقل الصراع إلى ميادين جديدة تدل على
مدى التقدم الذي أحرزته الدعوة من جانب،
وتحقق للدعوة - في الوقت نفسه - تقدمًا آخر.

فالمعركة بين النبي صلى الله عليه وسلم
وصحبه، وبين شيوخ الوثنية وزعمائها باتت
مكشوفة، يراها الناس في مكة، ويتناقلون
أخبارها في كل مكان. وهذا - بحد ذاته - مكسب
عظيم للدعوة، ساهم في تحقيقه أشد وألد
أعدائها، ممن كانوا يشيعون في القبائل قالة
السوء عنها، فليس كل الناس إمّعات يأخذون
دعوى القرشيين مأخذ التسليم، ولا بد أن يوجد
من شتى القبائل من ينتطّس الأخبار، ويتحرى
الصواب، فيظفر به.

ولقد كان تناقل الناس للأخبار مشافهة هو أهم وسيلة إعلامية في ذلك العصر، فكان من نتيجة إعلان الدعوة، وما تبعه من استفادة من المجالات العلنية المتاحة، أن سمع القاصي والداني نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم⁽⁶⁾، وفرض هذا الحدث المفاجيء نفسه على الواقع، وصار هو حديث الساعة - كما يقال -، ومهما يكن من تباين مواقف الناس إزاء هذا الحدث، إلا أن هذا الدين الذي نزل ليحكم الدنيا كان لابد له من الصدع والإعلان، ومما بعد الصدع والإعلان.

فهذا الإعلان كما كان نتيجة وثمره للجهود السابقة التي بذلها الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه، فهو كذلك تمهيد طبيعي للخطوات التالية له، والتي منها كسر الحصار المفروض على الدعوة، والانتقال بها إلى مواقع جديدة، وقد تمثل ذلك في العرض على القبائل، والخروج للطائف، وهجرتي الحبشة.

لقد كان أولى الناس بتوجيه الدعوة إليهم: قريش، وأهل مكة -وبالأخص عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم الأقربين- فوجه إليهم الدعوة من خلال هذا المنبر العلني، أنذرهم عذاب الله وبأسه إن لم يؤمنوا.

فلما أبوا ونفروا وصخبوا في وجه الدعوة وغالبوها؛ خطّط الرسول صلى الله عليه وسلم لنقل الدعوة إلى مكان آخر تستقر فيه وتنطلق منه، فكانت الخطوة التالية هي:

2- الدعوة خارج مكة:

ضاعت مكة ذرعًا بالرسول صلى الله عليه وسلم وبأتباعه، وبدأت معهم حربًا ضارية من الكيد والإيذاء والمقاطعة -سبقت الإشارة إلى شيء منها⁽⁷⁾-، ففكر الرسول صلى الله عليه وسلم بالخروج بالدعوة من مكة لتحقيق هدفين في آن واحد.

أولًا: للبحث عن موطن يأمن فيه المسلمون على دينهم، ويسلمون من أذى قريش وفتنتها، حيث لا تطالهم يدها، ولا يمتد إليهم بطشها.

ثانيًا: للبحث عن بيئة تقبل الدعوة، وتستجيب لها في مقابل عنت القرشيين وكنودهم، ومن هذه البيئة تنطلق إلى آفاق الأرض، تحقيقًا لأمر الله بالتبليغ للعالمين.

فأقدم الرسول صلى الله عليه وسلم على عدد من الخطوات الكفيلة - بإذن الله - بتحقيق هذين الهدفين.

(أ) الهجرة إلى الحبشة:

وذلك أنه لما كان في رجب من السنة الخامسة من البعثة أذن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة لعدالة ملكها، وإمكانية تمتع المسلمين فيها بحريتهم الدينية، فخرج منهم نحو أحد عشر رجلاً، وأربع نسوة، فأقاموا عنده بخير مقام، في خير دار، عند خير جار.

عن أم سلمة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: "لما ضاقت علينا مكة، وأوذي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء، والفتنة في دينهم، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في منعة من قومه وعمه، ولا يصل إليه شيء مما يكره، مما ينال أصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **إن بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه.**

فخرجنا إليها أرسالاً، حتى اجتمعنا بها،
فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أُمِنَّا على ديننا ولم
نخش منه ظلمًا⁽⁸⁾...

وقد تسامع هؤلاء المهاجرون بأن قريشًا قد
أسلمت، وكفت عن إيذاء النبي صلى الله عليه
وسلم فرجعوا، فوجدوا الأمر أشد ما كان.

فأذن النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة
الثانية، فهاجر قرابة المئة ما بين رجل وامرأة
واستقروا هناك، فرجع منهم من رجع بعد الهجرة
إلى المدينة، ورجعت بقيتهم عام خيبر⁽⁹⁾.

فيا ترى ما هو الهدف من هجرتي الحبشة؟

تذكر بعض مصادر السيرة أن النبي صلى
الله عليه وسلم كان يحب أن يهاجر إلى
الحبشة⁽¹⁰⁾، وهذا بعيد؛ لأسباب كثيرة:

(أ) منها أنه ثبت -كما سيجيء- رؤية النبي
صلى الله عليه وسلم دار الهجرة أرضًا ذات
نخل بين حرتين وأنه ظنها هجر⁽¹¹⁾.

(ب) ومنها طبيعة الوضع الجغرافي في
الحبشة الذي يعوق انتشار الدعوة، وبسط
سلطانها على العالم.

(ج) ومنها حاجز اللغة.

(د) ومنها أن اختيار الجزيرة العربية -ومكة بالذات، ثم المدينة- لنزول الوحي وانطلاق الدين لم يكن أمرًا اتفريقيًا؛ بل كان لمميزات كثيرة -سيمر ذكر بعضها-.

وبناء على هذا، فإن هجرة المسلمين للحبشة لم تكن تمهيدًا لانتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إليها. وإنما الهدف الأول منها هو حماية المؤمنين المستضعفين من أذى قريش، ودفع غربتهم المعنوية، وتأمينهم على دينهم، كما ورد التصريح به في العديد من الروايات، ومنها رواية أم سلمة⁽¹²⁾.

ولا يعارض هذا أن يكون في عزم المسلمين أن ينشروا الدعوة إلى الله في أي مكان حلوا فيه، إذ إن الدعوة إلى الله جزء من الدين الذي يريدون أن يأمّنوا عليه، ويبحثوا عن مكان يقدرّون أن يؤدّوه فيه، وينطلقوا منه إلى ما سواه، وليس المقصود تمكينهم من أداء شعائرهم فحسب.

ولقد كان لهجرتي الحبشة أثر كبير في تخفيف الغربة المفروضة على المسلمين في مكة، والإسقاط في يد قريش، خاصة حين أرسلت رسلها للنجاشي؛ لرد المسلمين إلى مكة فرجعوا بالخبيبة والفشل⁽¹³⁾.

كما كان لهما أثر في الحط من مكانة القرشيين عند سائر العرب، إدانة موقفهم من الدعوة وحملتها، إذ كانت البيئة العربية تفتخر بإيواء الغريب وإكرام الجار، وتتنافس في ذلك، وتحاذر السبة والعار في خلافه.. فهاهم الأحباش يسبقون قريشًا ويؤوون من طردتهم وأساءت إليهم من أشرف الناس، ومن ضعفائهم، ومن غربائهم!.

وهذه كلها آثار إيجابية، لا يضير أن يوجد إلى جوارها آثار سلبية قليلة، منها: أن إيواء الحبشة للمسلمين، وطيب مقامهم بها أذكى نار الحقد لدى قريش، فضاعفت من حربها، ومكرها، وعداوتها، وكان من آثار ذلك حصار الشعب، الذي كان بعد هجرة الحبشة - على الراجح⁽¹⁴⁾.

(ب) الخروج للطائف:

مما ضاعف من أحزان النبي صلى الله عليه وسلم ومتاعبه، وزاد من غربته؛ وفاة زوجته خديجة وعمه أبي طالب في عام واحد، فثقلت عليه صلى الله عليه وسلم الأرزاء والنوب، وبرحت بقلبه الآلام الجسام، ولكن أصحاب الدعوات الصادقة، يستعذبون العلقم في سبيل الله، ويستلذون التعب في مرضاته، ولا يلتفتون إلى الموراء، ولا يتوقفون، ولا يترددون، وإن كانوا يجهدون ويحزنون.

فيالله لهذا القلب العظيم المتلى بالإيمان، تهجم عليه الأحزان المتوالية هجوم الليل! فيشكل خديجة التي كانت خير ناصر له ومعين -بعد الله-، ثم يفاجأ بوفاة عمه الذي كان يحوطه، ويحميه، ويحبه أشد الحب وأزكاه، ويضاعف من حزنه - عليه الصلاة والسلام - أن مات كافرًا!!
وتستغل قريش هذا فتزيد من إيذائها له وتضييقها عليه، وكان أبو لهب -خليفة أبي طالب- من أكثر الناس كراهية للدعوة وصاحبها، ومقتًا وحقدًا ودناءة!.

حتى كان يلاحق النبي صلى الله عليه وسلم في الموسم، وفي الأسواق التجارية، ويرميه بالتراب والحجارة، ويقول: إنه صابئ، كذاب، ويحذر الناس من اتباعه⁽¹⁵⁾.

فتضيق به صلى الله عليه وسلم مكة، ويخرج صوب الطائف يطلب النصر، فماذا لقي؟.

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: "هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: **لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة**⁽¹⁶⁾، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب⁽¹⁷⁾، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: **إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسألته فسألني** **علي**، ثم قال: **يا محمد! فقال ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟** فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً**⁽¹⁸⁾.

فقد رد أهل الطائف النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به ردًا قاسيًا حتى خرج من عندهم حزينًا، ورجع إلى مكة، فدُئِرَ أهلها، وزاد حنقهم وغيظهم، حتى لم يستطع صلى الله عليه وسلم أن يدخل مكة إلا في جوار المطعم بن عدي، بعد أن التمس الجوار عند الأخنس بن شريق وسهيل بن عمرو فرفضوا⁽¹⁹⁾.

ج - العرض على القبائل:

وبعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف، بدأ يعرض نفسه على القبائل، في المواسم، يشرح لهم الإسلام، ويطلب منهم الإيواء والنصرة، حتى يبلغ كلام الله عز وجل.

عن سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في الموقف، فقال: "ألا رجُل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي"⁽²⁰⁾.

وفي رواية الإمام أحمد قال: "فأتاه رجل من همدان، فقال: **ممن أنت؟** فقال الرجل: من همدان. قال: **فهل عند قومك من منعة؟** قال: نعم، قال: ثم إن الرجل خشي أن يحقره قومه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: آتيهم فأخبرهم، ثم آتيتك من عام قابل. قال: **نعم.** فانطلق، وجاء وفد الأنصار في رجب" (21).

وواضح من عرض الرسول صلى الله عليه وسلم أنه يلتمس الأيواء والنصرة والحماية، وأن يجد من العرب من يمكنه من إعلان دعوته في جو آمن هادئ، وهذه خطوة كبيرة، في مواجهة غربة الإسلام وأهله.

فالمواسم التجارية ومواسم الحج تجتمع فيها قبائل العرب كافة، وكون الرسول صلى الله عليه وسلم يعرض بضاعته السماوية عليهم في ملائمة أمر في غاية الأهمية للدعوة حيث يفتح مجالاً واسعاً لنشره، ورفع شأن أهلها، وهو في غاية الإزعاج لقريش، إذ لا يبعد أن يجد من بعض القبائل آذاناً مصغية، فتستجيب لدعوته - وهذا ما حدث فعلاً-، وقريش تدرك جيداً معنى هذا، وأنه يعنى انعتاق الدعوة من القمقم الذي كبلتها فيه، وقيام دولة الإسلام التي ستنتزع منها السلطان المدني، وتحاربها حتى تؤمن بالله ورسوله، وتخضع لحكم الإسلام.

وإذا كان من الواضح علاقة العرض على القبائل بالجهر بالدعوة، فإن هذه المرحلة من علنية الدعوة، والتماس الناصر لها، هي مرحلة مهمة، وتحول كبير في مسار الدعوة؛ ولذلك خلعت قريش جلباب الحياء والمروءة يوم راح بعض رجالها يلاحقون الرسول صلى الله عليه وسلم في الأسواق والمواسم ويومئون إليه، ويرمون بالكذب، ويحذرون العرب من اتباعه.

وكان من الآثار العظيمة لهذه المرحلة: لقياء الرسول صلى الله عليه وسلم للأنصار، وبيعته العقبه، ثم الهجرة وتكوين الدولة.

3- فرض الدعوة - بطريقة تدريجية- باعتبارها أمرًا واقعيًا:

وخلال مكث الدعوة بمكة، وعلى رغم العنت الذي تلقاه هناك، ورغم الضعف والقلّة والذلة، فإنها كانت تنازل الجاهلية وتصارعها، وتخطو في ذلك خطوات ثابتة، هادئة، لا تعرف التراجع؛ بل تتقدم باستمرار.

ومن أبرز الأعمال الحكيمة الجريئة التي كان يعملها المسلمون، في مواجهة الغربة المحيطة بهم: التدرج في فرض الدعوة باعتبارها أمرًا واقعيًا في مكة لا يمكن تجاهله، واختطاط مجرى ثابت للإسلام.

وهذا لا يمكن أن يتم بسهولة، ولكنه يمكن أن يتم، ولنعرض الآن لبعض النماذج التي توضح ذلك؛ لتظهر النتيجة وكيف صارت قريش تنظر إلى الدعوة.

فبعد أن أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته صار المسلمون يحرصون بين الفينة والفينة أن يستعلنوا بصلاتهم، أو قراءاتهم للقرآن، أو أن يعلن الفرد الداخل إسلامه على الملأ، أو أن يخرجوا في مجموعة واحدة تظهر الإسلام وتصرخ به في أرجاء مكة.

ففي حديث عائشة في قصة أبي بكر وخروجه من مكة، وإرجاع ابن الدغنة له، قالت: "فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلي فيه، ويقرأ القرآن، فينقذف إليه نساء المشركين وأبناءؤهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك، فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا، وأبناءنا، فانه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبي إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإننا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقربين لأبي بكر الاستعلان، قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إليّ ذمتي؛ فإنني لا أحب أن تسمع العرب أنني أخفرت في رجل عقدت له! فقال أبو بكر: فإنني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله عز وجل⁽²²⁾ ..

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بلغ أبا ذر مبعثُ النبي صلى الله عليه وسلم (فساق الحديث وفيه قصة إسلام أبي ذر إلقوله): فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: **ارجع إلى قومك، فأخبرهم حتى يأتيك أمري.** قال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم! فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله!.

ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكبَّ عليه، وقال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار؟ وأن طريق تجاركم إلى الشام؟ فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها، فضربوه وثاروا إليه، فأكب العباس عليه⁽²³⁾.

وقد يظهر من صنيع أبي ذر رضي الله عنه العفوية وعدم القصد والتخطيط، ولكن هذه الحادثة وأمثالها بدأت تفرض على قريش الشعور بأن الإسلام واقع نام متزايد، لا سبيل إلى تجاهله، وإن لجت في طغيانها حينًا من الدهر.

وكان لإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أثر كبير في تعزيز موقف المسلمين، وتوهين موقف قريش، إذ كان عمر من أشد الناس على المسلمين، وأكثرهم ضراوة في حرب الإسلام - بما عرف عنه من القوة والبأس - فلما أسلم، وصارت قوته ردًا للمسلمين، ترنح موقف المشركين واهتز، وقوي به المسلمون، وعز جانبهم.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: مازلنا أعزة منذ أسلم عمر⁽²⁴⁾.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما في خبر إسلام أبيه قال: بينما هو في الدار خائفًا إذ جاءه العاص بن وائل السهمي، أبو عمرو، عليه حلة جبرة، وقميص مكفوف بحريز، وهو من بني سهم، وهم حلفاؤنا في الجاهلية، فقال له: ما بالك؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلونني، إن أسلمت! قال: لا سبيل إليك. بعد أن قالها أمنت⁽²⁵⁾، فخرج العاص، فلقى الناس قد سال بهم الوادي، فقال: أين تريدون؟ فقالوا: نريد هذا ابن الخطاب الذي صبا، قال: لا سبيل إليهم.

فَكَرَّ النَّاسُ⁽²⁶⁾.

ورواية الحاكم للقصة ذات دلالة قوية على المقصود، وفيها:

"قاتل عمر المشركين في مسجد مكة، فلم يزل يقاتلهم منذ غدوة حتى صارت الشمس حيال رأسه⁽²⁷⁾! قال: وأعياى وقعد، فدخل عليه رجل عليه برد أحمر وقميص قومسيي، حسن الوجه، فجاء حتى أفرجهم، فقال: ما تريدون من هذا الرجل؟ قالوا: لا والله إلا أنه صبا، قال: فنعم. رجل اختار لنفسه دينًا فدعوه وما اختار لنفسه، ترون بني عدي ترضى أن يقتل عمر؟. والله لا ترضى بنو عدي قال: وقال عمر يومئذ: يا أعداء الله! والله لو قد بلغنا بثلاث مئة لقد أخرجناكم منها"⁽²⁸⁾.

وفي رواية ابن إسحاق في السير والمغازي -بإسناد حسن- اختيار عمر لجميل بن معمر الجمحي وكان ممن يشيع الحديث وإخباره بإسلامه، ومبادرة قريش لعمر بالقتال حتى عي وجلس وهم مُعَرَّشُونَ على رأسه فيتم وهو يقول: اصنعوا ما بدا لكم، فأقسم بالله لو قد كنا ثلاث مئة رجل لقد تركتموها لنا أو تركناها لكم⁽²⁹⁾!..

ولا يمكن التقليل من أهمية الحلف الذي دفع العاص بن وائل إلى حماية عمر والدفاع عنه، ولكن ثمة أمر آخر سرى في قريش كلها، هو الشعور بأهمية الإسلام، وأن القضية لم تعد قضية أفراد مستضعفين، يصهرون بالرمضاء، ويعذبون بغير حق.. فهاهم صناديد الكفر يتراجعون، ويسلمون، ويتابعون محمدًا صلى الله عليه وسلم، ثم لا يرضون حتى يعلنوها مدوية في أرجاء مكة، ويهددون قريشًا بأنهم سيفاصلونهم، ويزايلونهم، حتى يخرج الأضعف منهما من مكة!.

ولا شك أن تكرار الحادثة -أيّ حادثة- يقلل من غرابتها ويجعلها طبيعية معتادة، ويفتح أمام كثير من الأذهان مجال إعادة النظر في المواقف المعارضة المتعنتة.

وسبق إسلام عمر إسلام حمزة بن عبد المطلب - وكان عزيزًا منيعًا في قومه - فعزبه الرسول صلى الله عليه وسلم وامتنع، وعرفت قريش أن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه⁽³⁰⁾.

عن الأرقم - وكان بدريًا - رضي الله عنه،
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم آوى في
داره عند الصفا حتى تكاملوا أربعين رجلاً
مسلمين، وكان آخرهم إسلامًا عمر بن الخطاب
رضي الله عنهم فلما كانوا أربعين خرجوا إلى
المشركين⁽³¹⁾.

ولعل المقصود بهؤلاء الأربعين من لم يهاجر
إلى الحبشة، وإلا فالمسلمون قبل عمر يزيدون
على ضعف هذا العدد⁽³²⁾.

وليس بدعًا أن تقع هذه المصادمات مع
المشركين من عمر، فمثل عمر في قوة
شكيمته، وشدة طبعه، وقوته في الحق، لا يملك
السكون على الباطل ساعة من نهار، ولا يملك
الصمت أو الاستسرار.

والإشارة إلى هذه الأحداث من إسلام عمر وحمزة، وإعلان عدد من الصحابة لإيمانهم، وفشو أخبار المسلمين، وتحولها إلى أخبار شبه مألوفة في بيئة مكة، وأنها سببت لقريش الإذعان للأمر الواقع، لا يعني أن قريشاً ألقَت السلاح واستسلمت، كلا. بل لقد دعاها كبرياؤها إلى خطة أكثر خبثاً وأوسع وأشمل، وهي خطة الحصار في الشعب⁽³³⁾، ولكن هذا العمل يخفي وراءه نفسيات مهتزة تتخوف كل ساعة أن تفاجأ بإسلام رجل من رجالات قريش؛ بل لعل إقدام قريش على هذا العمل دليل على تضاعف شعورها بخطر الإسلام وازدياد مخاوفها منه⁽³⁴⁾، ولعلها الصرخة المدوية الأخيرة من قريش في وجه الإسلام الزاحف! وما بعدها إنما هي صرخات واهنة ضعيفة، أو رجوع أصداء لتلك الصرخة المدوية.

ولا شك أن المتأمل يجد فرقاً هائلاً بين طبيعة المواجهة مع الإسلام في سنيه الأولى، وبينها في السنة التاسعة وما بعدها، حيث انضم عمر بعد حمزة إلى ركب الإيمان. وفشا أمر الإسلام - نسبياً - في مكة.

4- بيعة الأنصار، والهجرة، وبناء الدولة:

على رغم ما تقدم من نماذج ظهور الدعوة، إلا أن الطابع العام أن المؤمنين بالدعوة كانوا نَزَاعًا من القبائل متفرقين، وكانوا غرباء بين قومهم يعانون من آلام الغربة ما يعانون - على مواجهاتهم السابقة لها، وتخفيفهم من حدتها-، وكان قائدهم محمد صلى الله عليه وسلم كذلك غريبًا بين أهله وعشيرته - مع حماية الله له، وانتشار دعوته بعض الانتشار؛ ذلك أن لم يكن للإيمان وطن يفىء إليه، ولا للمؤمنين قبيلة تدفع عنهم، وتحميهم. فكان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي من أسلم من خارج مكة خاصة أن ينتظر ظهوره عليه السلام، فإذا سمع باستقراره بمهجر فليات إليه، كما في حديث عمرو بن عبسة وأبي ذر رضي الله عنهما⁽³⁵⁾.

وكان -صلى الله عليه وسلم- معنيًا بالبحث عن قبيلة تسمح بنشر الدعوة بين ظهرانيها، أو تعلن إيمانها بالدعوة وحمايتها لها، ومن أجل ذلك كان يعرض نفسه على القبائل.

وكان من توفيق الله لدعوته أن المدينة المنورة كانت تعيش ظروفًا خاصة ترشحها لاحتضان دعوة الإسلام، وتجتمع فيها عناصر عديدة، لا تجتمع في غيرها:

(أ) منها التشاحن والتطاحن الموجود بين قبيلتي المدينة: الأوس والخزرج، وقد قامت بينهما الحرب الطاحنة كيوم بعاث وغيره.

وقد أفنت هذه الحرب كبار زعمائهم، ممن كان نظراؤهم في مكة والطائف وغيرهما حجر عثرة في سبيل الدعوة، ولم يبق إلا القيادات الشابة.. الجديدة المستعدة لقبول الحق، إضافة إلى عدم وجود قيادة بارزة معروفة يتواضع الجميع على التسليم لها، وكانوا بحاجة إلى من يأتلفون عليه، ويلتئم شملهم تحت ظله.

فكان يوم بعاث أمرًا قدمه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، فقدم وقد افترق ماؤهم، وقتلت سرواتهم، وجرحوا، فقدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، في دخولهم في الإسلام، كما تقول عائشة رضي الله عنها⁽³⁶⁾.

(ب) ومنها مجاورتهم لليهود مما جعلهم على علم -ولو يسير- بأمر الرسالات السماوية، وخبر المرسلين السابقين، وهم - في مجتمعهم- يعايشون هذه القضية في حياتهم اليومية، وليسوا مثل قريش التي لا يساكنها أهل كتاب، وإنما غاية أمرها أن تسمع أخبارًا متفرقة عن الرسالات والوحي الإلهي، دون أن تلح عليها هذه المسألة، أو تشغل تفكيرها باستمرار.

وكان اليهود يهددون الأوس والخزرج بنبي قد أظل زمانه، ويزعمون أنهم سيتبعونه، ويقتلونهم به قتل عاد وإرم!، مع أن الأوس والخزرج كانوا أكثر من اليهود⁽³⁷⁾.

وقد حكى الله عنهم ذلك في كتابه، فقال:
(وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)⁽³⁸⁾.

وكان الأوس والخزرج قد علوا اليهود دهرًا في الجاهلية، وهم أهل الشرك، وهؤلاء أهل الكتاب، فكانوا يقولون: إن نبيًا قد أظل زمانه، يقتلكم قتل عاد وإرم⁽³⁹⁾.

فلما أراد الله إتمام أمره، بنصر دينه، قيض ستة نفر من أهل المدينة، للنبي صلى الله عليه وسلم فالتقى بهم عند العقبة - عقبة منى- فعرض عليهم الإسلام، فاستبشروا وأسلموا، وعرفوا أنه النبي الذي توعدهم به اليهود، ورجعوا إلى المدينة، فأفشوا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في بيوتها⁽⁴⁰⁾. وكان هذا هو "بدء إسلام الأنصار" - كما يسميه أهل السير⁽⁴¹⁾.

حتى إذا كان العام التالي وافى الموسم ضعف العدد الأول - اثنا عشر رجلاً من المؤمنين - فبايعهم النبي صلى الله عليه وسلم على ألا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصوه في معروف.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: إنى لمن النقباء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: بايعناه على ألا نشرك بالله شيئاً، ولا نزنوا، ولا نسرق، ولا نقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا ننتهب، ولا نعصي. فالجنة إن فعلنا ذلك، فإن غشنا⁽⁴²⁾ من ذلك شيئاً كان قضاء ذلك إلى الله⁽⁴³⁾.

وبنود هذه البيعة هي التي بايع الرسول صلى الله عليه وسلم عليها النساء فيما بعد، ولذلك عرفت باسم " بيعة النساء" (44).

ولذلك جاء في رواية ابن إسحاق لحديث عبادة بإسناده: كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفترض الحرب، على ألا نشرك بالله شيئاً... الحديث (45).

وقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم مع المبايعين مصعب بن عمير يعلمهم الدين، ويقرؤهم القرآن، فكان يسمى بالمدينة "المقرئ"، وكان يؤمهم في الصلاة (46).

ولقد اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم عن علم بشخصيته من جهة، وعلم بالوضع القائم في المدينة من جهة أخرى، حيث كان رضي الله عنه - بجانب حفظه لما نزل من القرآن - يملك من اللباقة، والهدوء، وحسن الخلق والحكمة، قدرًا كبيرًا، فضلًا عن قوة إيمانه، وشدة حماسه للدين؛ ولذلك تمكن خلال أشهر أن ينشر الإسلام في سائر بيوتات المدينة، وأن يكسب للإسلام أنصارًا من كبار زعمائها، كسعد بن معاذ، وأسيد بن الحضير، وقد أسلم بإسلامهما خلق كثير من قومهم⁽⁴⁷⁾.

ولما أقبل الموسم خرج عدد كبير من المسلمين في حجاج قومهم، وواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعب الذي عند جمره العقبة، والتقى به ما يزيد على السبعين منهم لقاءً سرّيًا، وكانت الصورة في أذهان المبايعين أكثر وضوحًا حيث أدركوا - بعمق - معنى بيعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم وأنها مفاصلة للعرب كافة؛ بل للناس كافة، وتعرض للقتال والقتل، فهي - بلغة العصر - "بيعة مصيرية".

وكانت بنودها كما يلي:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال:
دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعنا فقال -
فيما أخذ علينا-: أن بايعنا على السمع والطاعة،
في منشطنا، ومكرهنا، وعسرنا، ويسرنا، وأثرة
علينا، وألا تنازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحدًا
عندكم من الله فيه برهان.

وفي رواية: " وأن نقول بالحق حيثما كان لا
نخاف في الله لومة لائم"⁽⁴⁸⁾.

وقد تضمنت شروط البيعة - أيضًا- البيعة على
أن ينصروا النبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم
عليهم "يثرب" وأن يمنعوه مما يمنعون منه
أنفسهم وأبناءهم⁽⁴⁹⁾ وكانت هذه البيعة تسمى:
بيعة الحرب، وهي تسمية معبرة ذات دلالة عميقة.

وقد روى ابن إسحاق عن عبادة قال: بايعنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الحرب،
على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا،
ومنشطنا ومكرهنا، وأثره علينا، وألا تنازع الأمر
أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله
لومة لائم⁽⁵⁰⁾.

وثمة رواية مهمة جمعت أخبار البيعتين، وهي رواية جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم ومجنة⁽⁵¹⁾ وعكاظ⁽⁵²⁾، ومنازلهم من منى: من يؤويني؟ من ينصرتني حتى أبلغ رسالات ربي فله الجنة، فلا يجد أحدًا ينصره ولا يؤويه حتى إن الرجل ليرحل من مضر أو من اليمن إلى ذي رحمة، فيأتيه قومه فيقولون له: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رجالهم يدعوهم إلى الله عز وجل يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله من يثرب، فيأتيه الرجل منا فيؤمن به، ويقرؤه القرآن، فينقلب إلى أهله، فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام، وبعثنا الله إليه فائتمنا واجتمعنا وقلنا: حتى متى رسول الله صلى الله عليه وسلم يُطرد في جبال مكة ويخاف؟ فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم، فواعدنا بيعة العقبة، فقال له عمه العباس يابن أخي: لا أدري ما هؤلاء القوم الذين جاءوك؟ إني ذو معرفة بأهل يثرب، فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين، فلما نظر العباس في وجوهنا قال: هؤلاء

قوم لا نعرفهم، هؤلاء أحداث!! فقلنا: يا رسول الله، علام نبايعك؟ قال: تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم، وأزواجكم، وأبناءكم، ولكم الجنة، فقمنا نبايعه، وأخذ بيده أسعد بن زرارة - وهو أصغر السبعين - إلا أنه قال: رويدًا يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجهم اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم وأن يعضكم السيف⁽⁵³⁾.

فإما أنتم قوم تصبرون عليها إذا مستكم، وعلى قتل خياركم، ومفارقة العرب كافة، فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذوره فهو عذر عند الله عز وجل!

فقالوا: يا سعد، أمط عنا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة، ولا نستقبلها، قال: فقمنا إليه، رجلاً رجلاً، فأخذ علينا، ليعطينا بذلك الجنة⁽⁵⁴⁾.

وقد ساق ابن إسحاق رواية طويلة عن كعب بن مالك في خروج حجاج الأنصار المسلمين، مع قومهم المشركين واستقبال البراء بن معرور رضي الله عنه للكعبة، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم له: لقد كنت على قبة، لو صبرت عليها، وفيها تفصيلات وافية مفيدة لأحداث البيعة.

قال كعب: ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة، من أوسط أيام التشريق، قال: فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام، أبو جابر، سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه، وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه، أن تكون حطبًا للنار غدًا، ثم دعوناه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة، قال: فأسلم، وشهد معنا العقبة، وكان نقيبًا.

قال: فنمنا تلك الليلة، مع قومنا، في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل، خرجنا من رحالنا، لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم تتسلل تسلل القطا، مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب، عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب، أم عمارة، إحدى نساء بني مازن ابن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي، إحدى نساء بني سلمة، وهى أم منيع، قال: فاجتمعنا في الشعب، نتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا، ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج- قال: وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار: الخزرج، خزرجها، وأوسها،: إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللاحق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم

مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده، فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم - يا رسول الله - فخذ لنفسك، ولربك ما أحببت.

قال: فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن، ودعا إلى الله ورغب في الإسلام، ثم قال: **أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم**، قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم. والذي بعثك بالحق نبياً، لنمنعك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا - يا رسول الله - فنحن - والله - أبناء الحروب، وأهل الحلقة، ورثناها كابراً عن كابر.

قال: فاعترض القول - والبراء يكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم - أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبلاً، وأنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله، أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: **بل الدمُّ الدمُّ، والهدمُّ الهدمُّ**⁽⁵⁵⁾، أنا منكم، وأنتم مني، أحارب من حاربتكم، وأسالم من سالمتم.

قال كعب بن مالك: وقد كان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيبًا؛ ليكونوا على قومهم بما فيهم**، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبًا، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس⁽⁵⁶⁾.

وفي هذه البيعة عاهد الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإيواء، والحماية، والنصرة، والمنعة.

وبهذا انتهى عهد التشريد والتطريد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه رضي الله عنهم وبدأ عهد الاستقرار، والاستعداد للقتال، ونشر الدعوة في جميع بقاع الأرض.

يقول إمام المغازي، محمد بن إسحاق: "وكانت بيعة الحرب، حين أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال، شروطًا سوى شرطه عليهم في العقبة الأولى، كانت الأولى على بيعة النساء، وذلك أن الله تعالى لم يكن أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم في الحرب، فلما أذن الله له فيها، وبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة الأخيرة، على حرب الأحمر والأسود، أخذ لنفسه واشترط على القوم لربه، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة⁽⁵⁷⁾.

وسواء كان الإذن بالحرب والقتال، جاء قبل الهجرة، كما هو رأي عروة بن الزبير وغيره⁽⁵⁸⁾، أو كان بعد الهجرة، كما هو ظاهر سياق الآيات، في قوله تعالى: **(أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ تَضَرُّهِمْ لَقَدِيرٌ ۗ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ)**⁽⁵⁹⁾.

سواء كان هذا، أو ذاك، فإن بدء الجهاد كان مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بهذه البيعة. وهذا سر تسميتها ببيعة الحرب.

ففي البيعة الأولى كان الإيمان بالله ورسوله.

وفي البيعة الثانية كان العهد على "الهجرة" و"الجهاد".

وبهذه العناصر الثلاثة: الإيمان، والهجرة، والجهاد، يتحقق وجود الإسلام في واقع جماعي ممكن.

والهجرة لم تكن لتتم لولا وجود الفئة المستعدة للإيواء، ولهذا قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)** (60)، وقال: **(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)** (61)، وقال: **(وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ)** (62) في آيات أخرى كثيرة.

ولم تكن البيعة والهجرة والجهاد لتتم لولا انسلاخ المؤمنين الجدد من ولائهم القبلي والوطني، للولاء الشرعي، وتركهم لقياداتهم العشائرية إلى القيادة الإسلامية الواحدة؛ ولذلك جاء النص في البيعة على أن الدم الدم، والهدم الهدم، على إثر قول الأنصار: إن بيننا وبين القوم- يعني اليهود- حبلاً، وأنا قاطعوها.

وقد كانت هذه البيعة هي التمهيد الأخير لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، وبعدها بدأ المهاجرون يغادرون أرض مكة التي درجوا عليها صغارًا، وشهدت ربوعها ومغانبها مراتع صباهم ولهوهم، بدؤوا يغادرون الأرض التي اختارها الله لتنزل وحيه، وجعل فيها بيته مثابة للناس وأمناً!.

وخرج معظم المسلمين حتى لم يبق إلا محبوس، أو مأسور، أو رجل تأخر لغرض كعلي بن أبي طالب، وأبي بكر الصديق رضي الله عنهما⁽⁶³⁾.

أما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد تأخر ينتظر الإذن الإلهي، وطلب إلى أبي بكر رضي الله عنه أن يكون رفيقه وصاحبه، وحين جاءه الإذن خرج إلى المدينة مستخفياً عالمًا بما سيصيب قريشًا من الهلع والفرع إذا علمت بخروجه، حتى وصل المدينة بعد رحلة شاقة مليئة بالمخاطر والشدائد والأهوال⁽⁶⁴⁾.

وإن من أعظم مظاهر التضحية في هذه الهجرة أن يغادر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون هذا البلد الأمين الحبيب إلى قلوبهم - بل وإلى قلوب جميع المسلمين - مغادرة يعلمون أن لا استقرار لهم فيه بعدها، وهذا من أشق الأمور على النفس، ولكن رجال العقيدة يرخصون في سبيلها كل غال.

ولقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى - معنى صعوبة مغادرة مكة وفراقها فراقًا لا سكنى بعده - في العديد من المواقف المؤثرة.

عن عبد لله بن عدي بن حمراء الزهري قال:
"رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفًا على الحزورة⁽⁶⁵⁾ فقال: **والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت!**"⁽⁶⁶⁾.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر، وبلال، فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصَّح في أهله والموت أدنى من
شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته،
ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد، وحولي
إذخر، وجيل؟

وهل أردن يوماً مياه مَجَّنة؟ وهل يبدون
لي شامة، وطفيل؟⁽⁶⁷⁾

قال: اللهم العن شيبه بن ربيعة، وعتبة بن
ربيعة، وأميه بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا،
إلى أرض الوباء!

ثم قال صلى الله عليه وسلم: "اللهم
حبب إلينا المدينة، كحبنا مكة أو أشد،
اللهم بارك لنا في صاعنا، وفي مدنا،
وصححها لنا، وانقل حماها إلى
الجحفة".

قالت: "وقدمنا المدينة، وهي أوبأ أرض الله،
قالت: فكان بطحان⁽⁶⁸⁾ يجري نجلاً، يعني: ماء
آجتًا⁽⁶⁹⁾||⁽⁷⁰⁾

وإنما يبين معنى التضحية حقًا حيث يقتل الإنسان نفسه اقتلاعًا من وطنه؛ ليهاجر في ذات الله إلى حيث يشاء الله.

وبالبيعة المؤكدة الصريحة، ثم بالهجرة بعدها، وجد الإسلام موطنه الذي تنطلق منه دعاة الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، وتنطلق منه جحافل الحق المجاهدة أول مرة، وقامت الدولة الإسلامية، المحكمة لشرع الله في عباده، وهو الموطن الذي يرجع إليه الإسلام من بعد⁽⁷¹⁾.

ولهذا صارت الهجرة إلى المدينة واجبة ذلك الوقت؛ لأنها أصبحت دار الإسلام، ومنطلق الدعوة، حيث بدأ التخطيط لعهد جديد من الكفاح الدائب في مواجهة المشركين، واليهود، والمنافقين.

لقد ولى التاريخ وجهه شطر المدينة المنورة يرقب حركة بناء الدولة الإسلامية الأولى، ثم حركة جهاد هذه الدولة لتثبيت أركانها، وتوسيع نطاقها، وإخضاع الناس لحكم الله عز وجل.

فالمدينة لم تكن مهربًا يلوذ به المسلمون من ظلم قريش وبطشها وتعذيبها إلى حيث الدعة والسكون! كلا. وأنى لأصحاب العقائد الحية الدعة والسكون؟!.

ولكنها كانت تحولاً إلى جبهة أخرى مهياة لانطلاق الدعوة، ومواجهة الأعداء، وإظهار الدين.. ولو كره الكافرون.

ولقد استقبل المسلمون في المدينة عهدًا جديدًا من التضحيات الجسام بالنفوس والأموال، وحياة فيها الكثير من الجهد، والشدة، والفقر، والخوف، والنقص في الأموال، والأنفس، والثمرات، والأعداء كان بعض شأنهم أن يأتوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى تزيغ الأبصار وتبلغ القلوب الحناجر، وكان هذا وذاك جزءًا من مواجهة الغربة الأولى، التي أخذ المؤمنون الأوائل على عواتقهم مدافعتها حتى تندفع - بإذن الله -.

5- القتال في سبيل الله:

لم يغب عن بال المسلمين لحظة أن دولتهم الفتية في المدينة لن تجري في ريح رخاء؛ بل ستمضي عليها سنة الله في خلقه، في ابتلاء بعض الناس ببعض.

ولم ينس المسلمون أن عداوة المشركين، الذين أخرجوهم من ديارهم، وأموالهم، بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله، لا تزال قائمة؛ بل إنها تسير في المرحلة الجديدة جنبًا إلى جنب، مع عداوة اليهود الذين يجاورون الإسلام في المدينة، ومع عداوة المنافقين المندسين في الصف المسلم، والذين هم أحبولة من أحابيل المكر اليهودي للإسلام - في غالب أحوالهم - ولذلك بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وصوله المدينة بعقد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وبناء المسجد، وعقد المعاهدة مع يهود⁽⁷²⁾.

(أ) والمؤاخاة تعني ذوبان الفوارق القبلية بين المسلمين - من مهاجرين وأنصار - وانصهارهم جميعًا في كيان واحد، وأمة واحدة، فانتسابهم هو للإسلام قبل كل شيء.

وكان ابتداء المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في أول الاستقرار بالمدينة، واستمر يتجدد بحسب من يدخل في الإسلام، أو يحضر إلى المدينة⁽⁷³⁾.

فهذه هي اللبنة الأولى في طريق الجهاد، وهي العاصم الأول من التفرق والتمزق، والاستجابة لنزغ شياطين الإنس والجن، إضافة إلى أن بعض المسلمين كان أقوى من بعضهم الآخر، بالمال والعشيرة، وبالمؤاخاة يرتفق الأدنى بالأعلى، ويستعين الأعلى بالأدنى⁽⁷⁴⁾.

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم آخى بين المسلمين في مكة، فأخى بين حمزة، وزيد بن حارثة⁽⁷⁵⁾، وآخى بين الزبير وابن مسعود⁽⁷⁶⁾ في نفر - غيرهم-⁽⁷⁷⁾.

(ب) وبناء المسجد يعني توكيد الهدف الذي دعا الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه إلى تحمل المشاق، والهجرة في سبيل الله، وبناء هذا المجتمع، وهو تحقيق عبادة الله وحده، وهجر الرجز، وحرب أهله، وما الجهاد إلا جزء من معنى هذه العبادة؛ لتحقيق دينونة الناس لربهم، وإزالة الحواجز التي تعوق الناس عن الدخول في الإسلام، أو التي تفتن الناس عن دينهم بعد أن دخلوا فيه.

(ج) والمعاهدة مع يهود تعني وضوح العلاقة معهم، وتحديد موقفهم ومسؤوليتهم، وإخضاعهم لحكم الإسلام، ثم محاسبتهم على جرائمهم -التي كان لابد أن تقع- بصورة تحفظ كرامة الإسلام والمسلمين⁽⁷⁸⁾.

وقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بعد استقراره في المدينة يخطط للأعمال الحربية، ويدرب أصحابه على فنون القتال ويبعث السرايا والبعوث، لتثبيت أمن المدينة، وتخويف المتربصين، وتهيئة أصحابه للمهمات التي تنتظرهم، بعد أن أذن الله لهم في القتال بقوله:

(أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَيَعُوقَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)⁽⁷⁹⁾.

فبعث النبي صلى الله عليه وسلم سلسلة
من السرايا والبعوث والغزوات: كغزوة
الأبواء⁽⁸⁰⁾، وسرية عبيدة بن الحارث، وسرية
حمزة، وغزوة بواط⁽⁸¹⁾، وغزوة العشيرة⁽⁸²⁾
وغيرها.

ولعل أهم الغزوات التي أحدثت أثرًا بعيدًا
في حركة الإسلام ودفعت الغربة عنه، وعن أهله:
غزوة بدر، ثم الحديبية، ثم فتح مكة⁽⁸³⁾.

غزوة بدر:

وقد خرج المسلمون لاعتراض قافلة أبي سفيان التجارية، فشاء الله أن تفوتهم القافلة، وأن تخرج قريش لتقيم أيامًا في بدر، تنحر الجزور، وتشرب الخمر، وتعزف عليها القيان؛ وذلك لتدعيم مكانتها وهيبتها عند العرب.

وفض

لم كثير من المؤمنين الرجوع إلى المدينة، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى غير هذا، فاستشار أصحابه، وكأنه يريد أن يستوثق من رأي الأنصار، إذ ربما يرون أن ليس عليهم نصره ومنعه إلا في المدينة ذاتها.

فرأى منهم رضي الله عنهم الاستبسال، والاندفاع، والطاعة المطلقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففرح، واستبشر،

وبش

ر أصحابه بالنصر المؤزر.

والتقى المسلمون -لأول مرة- وبدون استعداد كافٍ؛ بسبب عنصر المفاجأة، وتغير الموقف مع المشركين الذين يمثلون ثلاثة أضعافهم، وكان فيهم صناديد قريش قاطبة إذ لم يسع أحدًا منهم التأخر عن الخروج خشية رميه بالجبن والخوف.

إن مجرد لقاء المسلمين -مهاجريهم وأنصارهم، أوسهم وخزرجهم- للمشركين فيه معان كبيرة؛ إذ لم تعد قريش تملك فرض الغربة والكربة على من أسلم، فهاهم أولاء المستضعفون بمكة يأوون إلى المدينة، وقيمون الدولة، ويكونون الجيش، ويصبح بمقدورهم منازلة المشركين في ساحات القتال، وليس في مواقع التعذيب والإيذاء.

وهذا الموقع الذي اختاره الله لهجرة نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحاب نبيه رضي الله عنهم هو في طريق تجارة قريش إلى الشام، فهو تهديد أكيد لتجارتها وقوافلها⁽⁸⁴⁾.

وهؤلاء الأوس والخزرج الذين كانوا أقرب الناس إلى قريش، وأبغض الناس أن تثور بينهم وبينهم الحرب⁽⁸⁵⁾، هاهم يخوضونها ابتداءً إلى جوار الرسول الذي أخرجته قريش وأذته صلى الله عليه وسلم.

إن الإنسان يحتاج لكي يدرك التقدم العظيم السريع الذي أحرزته دعوة الإسلام أن يستجمع في ذهنه صورة المسلمين الغرباء المعذبين في مكة ونظرة قريش إليهم، ثم يقارنها بالصورة الجديدة: جيشين متقابلين يستعد كل منهما للقاء الآخر.

وقد شعر المسلمون بخطورة هذه المعركة، وأهميتها البالغة فشذبوا هممهم، واستجمعوا قواهم؛ لثيق طريق لنصر الإسلام عبر الصخور والصعاب، يبدأ من هذا اليوم، وكان صلى الله عليه وسلم يجأر إلى الله بالدعاء حتى يسقط رداؤه، ويشفق عليه أبو بكر، وهو يقول: **اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد بعد اليوم** ⁽⁸⁶⁾!

وتدور المعركة، ويضرب المسلمون من أمثلة البطولة والفداء ما تعجز عن وصفه الأقلام... وما هو إلا قليل حتى ترجح كفة المسلمين، وتدور الدائرة على المشركين، ويقتل الله سبعين من صناديدهم، ويؤسر منهم ما يقارب هذا العدد ⁽⁸⁷⁾.

وحين سرى هذا الخبر في الناس لم يكذب صدقه أحد، فقد قابلت قريش طلائع الخبر بالهزاء والسخرية، فهي تنتظر استئصال شأفة المسلمين، كما قابله اليهود بالاستنكار والرد، ولم يكذب صدقه المسلمون المقيمون بالمدينة.

ولقد هال الناس أن ينعى إليهم في غداة
واحدة سبعون، فيهم زعماء كبار، كأبي جهل،
وعتبة وشيبة -ابني ربيعة-، والوليد بن عتبة، وعقبة
بن أبي معيط، وطعيمة بن عدي، وأبي البختری بن
هشام، والنضر بن الحارث، والأسود بن عبد الأسد،
ونبيه ومنبه -ابني الحجاج-، وأمیه بن خلف..
وغيرهم⁽⁸⁸⁾.

وقد ساق علي رضي الله عنه مقدمات الغزوة، وأحداثها، بسياق طويل مفصل -بعض التفصيل- فقال: لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها، فاجتوبناها، وأصابنا بها وعك، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخبر عن بدر، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا، سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر -وبدر بئر- فسبقنا المشركون إليها⁽⁸⁹⁾، فوجدنا فيها رجلين منهم: رجل من قريش، ومولى لعقبة بن أبي معيط، فأما القرشي فانفلت، وأما المولى فوجدناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم. فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: **كم القوم؟** قال: هم -والله- كثير عددهم، شديد بأسهم، فجهد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخبره: **كم هم؟** فأبى، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم سأله: كم ينحرون من الجزور؟ فقال: عشرًا كل يوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **القوم ألف، كل جزور لمئة وتبعها.**

ثم إنه أصابنا من الليل

ط _____ ش

⁽⁹⁰⁾ من مطر، فانطلقنا تحت الشجر والحَجَف⁽⁹¹⁾

نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله صلى

الله عليه وسلم يدعوربه، ويقول: **اللهم إنك**

إن تُهلك هذه الفئة لا تعبد!

فلما طلع الفجر، نادى: **الصلاة** -عباد الله-

فجاء الناس من تحت الشجر والحجف⁽³⁾، فصلى

بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرص

على القتال، ثم قال: إن جمع قريش تحت هذه

الضلع الحمراء من الجبل.

فلما دنا القوم منا، وصاففناهم، إذا رجل منهم على جمل له أحمر، يسير في القوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **يا علي ناد لي حمزة - وكان أقربهم من المشركين - من صاحب الجمل الأحمر؟ وماذا يقول لهم؟** ثم قال صلى الله عليه وسلم: **إن يكن في القوم أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر، ف جاء حمزة، فقال:** هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال، ويقول لهم: يا قوم إنني أرى قومًا مستميتين، لا تصلون إليهم وفيكم خير، يا قوم اعصبوها - اليوم - برأسي، وقولوا: جبن عتبة بن ربيعة! وقد علمتم أنني لست بأجبنكم.

فسمع بذلك أبو جهل، فقال: أنت تقول ذلك؟ والله لو غيرك يقولها لأعضضته، قد ملأت رثك جوقك رعبا! فقال: إياي تعير يا مصفر إسته؟ ستعلم اليوم أينما الجبان!

قال: فبرز عتبة، وأخوه شيبه، وابنه الوليد، حمية، فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار ستة⁽⁹²⁾، فقال عتبة: لا نريد هؤلاء، لكن يبارزنا من بني عمنا، من بني عبد المطلب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **قم يا حمزة، وقم يا علي، وقم يا عبدة بن الحارث بن عبد المطلب.**

فقتل الله عتبة، وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة، وجرح عبدة، فقتلنا منهم سبعين، وأسرونا سبعين.

وجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا، فقال العباس: يا رسول الله، إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح، من أحسن الناس وجهًا، على فرس أبلق ما أراه في القوم! فقال الأنصاري: أنا أسرته - يا رسول الله - فقال: **اسكت، فقد أيدك الله بملك كريم.**

فقال علي رضي الله عنه فأسرنا، وأسرونا من بني عبد المطلب: العباس، وعقيلًا، ونوفل بن الحارث⁽⁹³⁾.

ولقد خضد الله في هذا اليوم شوكة المشركين، وأرهب الأعداء من اليهود والأعراب المتربصين، وجعله بداية للانتصارات اللاحقة التي أحرزها المسلمون: **(وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** ⁽⁹⁴⁾.

ودعاء الرسول صلى الله عليه وسلم السابق يوحي بأهمية يوم بدر وخطورة نتائجه، فإنه لو انهزم فيه المسلمون لم تقم لهم بعد قائمة، ولو أفنيت هذه العصابة لم يعبد الله في الأرض.

وهذا مفرق طريق في شأن الغربية، فإن الإسلام كان يتمثل في هذه الجماعة المنحازة إلى المدينة الغربية بين أمم الأرض حينئذ، وهي الجزيرة المؤمنة في بحر الوثنية والشرك، فكان انتصار بدر ترسيخًا لموقع الدولة المسلمة، وتثبيتًا لقواعدها، ودفعًا لغربتها، وغربة المضحين في سبيلها.

وهكذا يصنع الله لدينه وأوليائه الصادقين ما يحفظهم به؛ ليحفظ بهم الدين ⁽⁹⁵⁾.

غزوة الحديبية:

وهي تأتي في الأهمية بعد بدر، كما قال الإمام الحافظ ابن عبد البر: "ليس في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ما يعدل بدرًا أو يقرب منها إلا غزوة الحديبية..."⁽⁹⁶⁾.

وقد سماها الله تعالى: **(فَتْحًا مُبِينًا)** فقال: **(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا)**⁽⁹⁷⁾.

وعن أنس رضي الله عنه: إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا، قال: الحديبية⁽⁹⁸⁾.

وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يريد العمرة، وساق معه الهدى، وسار في نحو ألف وخمس مئة من أصحابه⁽⁹⁹⁾، فرفضت قريش دخوله مكة، ثم اتفقوا على الصلح بعد مفاوضات طويلة⁽¹⁰⁰⁾.

وكان من النتائج الخطيرة لهذه الغزوة: اعتراف قريش بقوة المسلمين وكيانهم حيث فاضلتهم وصالحتهم على بنود معروفة، وهذا كان له أثر عظيم على القبائل العربية التي كانت تنتظر نتيجة المعركة بين الإسلام والوثنية لتحدد موقفها.

ولذلك دخلت خزاعة - عقب الصلح - في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده، كما دخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم⁽¹⁰¹⁾.

وأبت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم دخول البلد الحرام على أن له أن يأتي العام القادم فيدخلها بسلاح الراكب: السيوف في القرب، لا يدخلها بغيرها⁽¹⁰²⁾، وهي تريد برد المسلمين عن مكة حفظ ماء وجهها.

وهذا الموقف زعزع مكانة مشركي قريش، وأكد أنهم ليسوا أهلاً لسدانة البيت وحمائته؛ بل هم يصدون عن المسجد الحرام، وما كانوا أولياءه، إذ قد ظهر للجميع من حال النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يأت لقتال؛ بل جاء معتمرًا، معظمًا للبيت.

وكانت سائر بنود الصلح نصرًا للإسلام في حقيقتها، وإن كان ظاهرها في صالح قريش - بادي الرأي -.

وفوق هذا فإن وضع الحرب بين الطرفين أتاح فرصة كبيرة لانتشار الإسلام، ودفع غربته، ومد سلطانه على القلوب.

قال الزهري: "فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وأمن الناس بعضهم بعضًا، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئًا إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنيتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر" (103).

قال ابن هشام: "والدليل على قول الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مئة، في قول جابر بن عبد الله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف" (104).

ولهذه الأسباب كلها كانت غزوة الحديبية تمهيدًا طبيعيًا لفتح مكة.

6- المواجهة مع اليهود:

وقد شاء الله بحكمته البالغة أن تجاور يهود الإسلام في مقر دولته الأولى، وأن يكونوا أحد الأسباب الملحوظة لالتفاف الأنصار حول الإسلام، وبيعتهم للرسول عليه الصلاة والسلام، وقد حال الحقد، والحسد، والبغي، دون إسلام اليهود، ومتابعتهم للنبي العربي الذي يعرفون.

وبعد استقرار المسلمين في المدينة نظموا العلاقة مع اليهود منذ البداية وأذعن اليهود لحكم الإسلام وسلطانهم، والتزموا بالإنفاق مع المؤمنين ما داموا محاربين، والدفاع عن المدينة ضد من دهمها، والرجوع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يحدث من شجار يخاف فسادها والحفاظ على أمن المدينة⁽¹⁰⁵⁾.

ولم تبرز لليهود أية مواقف مشهورة خلال التحركات الأولى في المدينة، سواء قبل الهجرة أو بعدها، فعلى علم منهم أسلم من أسلم من الأنصار، ثم بايعوا البيعة الأولى، ثم استقدموا مصعباً؛ لتعليمهم ونشر الدين بينهم، ولم تكن جهود مصعب في نشر الدعوة لتخفى عليهم، وكان موقفهم أقرب إلى السلبية.

ولعل هذا يشير إلى وجود جفوة بين الأوس والخزرج وبين اليهود خلال تلك الفترة، جعلت تأثير اليهود أقل من أن يعوق سير الدعوة، إضافة إلى قوة شأن الأوس والخزرج، وكثرتهم، وضعف اليهود إزاءهم⁽¹⁰⁶⁾.

وثمة سبب آخر وهو طبيعة اليهود التي تتعمد الدس الخفي، والكيد والظعن من وراء الظهور، وتبرز هذه الطبيعة في حركة النفاق، التي كان لليهود يد طولى في إنشائها، وإذكائها، والتخطيط لها.

وخاصة حين أدرك اليهود تعاضم مد الإسلام بعد موقعة بدر الحاسمة، وقد ذكر الله علاقة المنافقين باليهود في قوله: **(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ)** (١٠٧).

أما عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان أول الأمر حريصًا على إسلام اليهود، وتأليف قلوبهم، باعتبارهم أهل كتاب، ولو آمنوا به صلى الله عليه وسلم لترتب على إيمانهم آثار بعيدة المدى، ولعله لذلك كان يحب موافقتهم أول الأمر فيما لم ينزل عليه فيه⁽¹⁰⁸⁾، وظل صلى الله عليه وسلم يبذل النصيحة لهم، ويجب على سؤالاتهم المتعنتة، ويحرص أن يفيد من إسلام بعض مخلصيهم؛ مثل عبد الله بن سلام وغيره، ولكن دون جدوى؛ بل إنهم أظهروا روح العداوة للإسلام والمسلمين ونقضوا العهود والمواثيق التي أبرموها، وتحالفوا مع الوثنية ضد الإسلام، فأجلى الرسول صلى الله عليه وسلم قبيلتين منهم: بني قينقاع، وبني النضير، واستأصل شأفة بني قريظة، لعظم خيانتهم، وخطورتها، ثم قضى في غزوة خيبر على وجودهم السياسي في الحجاز نهائيًا.

كما خطط الرسول صلى الله عليه وسلم لاغتيال رؤوس الفتنة ومثيري الشغب فيهم، فأرسل مجموعات فدائية اغتالت كعب بن الأشرف ثم أبا رافع⁽¹⁰⁹⁾، فذعر اليهود من ذلك وكفوا عن إساءتهم.

وبذلك أزاح المسلمون عقبة كبيرة تعترض طريق الدعوة، وإن كان اليهود لا يزالون، ولن يزالوا يخططون للقضاء على هذا الدين⁽¹¹⁰⁾.

7- فتح مكة:

تتوجت الانتصارات الإسلامية بفتح مكة في العام الثامن للهجرة، وقد كان هذا الفتح مطلبًا مهمًا لدى المسلمين للأسباب التالية:

(أ) لأن مكة كانت معقل الوثنية الأكبر، فسقوطها يعني الإجهاز عليها، واقتحام آخر حصونها، ولقد كانت العرب تتربص ما يؤول إليه أمر قريش، فكانت غزوة الحديبية التي هزت موقف قريش، وأضعفت مكانتها، ثم كان الفتح الذي أنهى كل تردد أو شك.

(ب) ولأنها البلد الذي أخرج منه الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون وهو الذي كان يتولى كبر الحرب لهم، طيلة تلك المدة، فدخولهم إياه فاتحين يعني إنهاء أمد الحرب مع قريش، التي طالما كابرت الحقائق، ولجت في العناد.

(ج) ولمكة أهمية كبرى في الإسلام بحكم وجود الأماكن المقدسة، ومواضع الحج، وذكريات النبوات السابقة، وبحكم اختيار الله لها لتنزل وحيه أول الأمر **(وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ)**⁽¹¹¹⁾⁽¹¹²⁾.

ويظهر أن النبي صلى الله عليه وسلم منذ غادر مكة مهاجرًا، كان ينتظر اليوم الذي يأذن الله فيه بفتحها، ويتأكد هذا حين يوجه الله نبيه صلى الله عليه وسلم إلى استقبال الكعبة في الصلاة، وفي هذا من الدلالة ما فيه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما - في قوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ)**⁽¹¹³⁾، قال: إلى مكة⁽¹¹⁴⁾.

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم ينتظر الفرصة المواتية لفتح مكة، وتحريرها من سيطرة المشركين، وإعادتها إلى المؤمنين الذين هم أحق بها وأهلها.

فلما نقضت بنو بكر وقريش عهدهم، واعتدوا على خزاعة، وقاتلوهم ولم يراعوا حرمة العهد والميثاق، ولا مكانة الحرم، واستصرخت خزاعة المسلمين -بحكم الحلف⁽¹¹⁵⁾- استعد الرسول صلى الله عليه وسلم لفتح مكة، وفرض حصارًا على خبر هذا التحرك حتى يبغت قريشًا، لضمان النصر وحقن الدماء، حتى استطاع أن يفاجئ مكة بعسكر لم تر مثله قط في العدد والعدة المادية والمعنوية.

وقد فوجيء زعماء قريش بنيران العسكر تملأ الفضاء، فخرجوا يستطلعون الخبر، فعثرت عليهم خيل المسلمين، فاستأقتهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهم أبو سفيان، وبديل بن ورقاء، وحكيم بن حزام، فما لبثوا أن أعلنوا إسلامهم واستسلامهم، وسألوه الأمان لقريش فأمنهم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة
مجيء الزعماء الثلاثة، وإسلام أبي سفيان وتأمين
قريش قال: فلما انصرف إلى مكة ليخبرهم، قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم احبسوه بمضيق
من الوادي، عند حطم الخيل حتى تمر به جنود
الله، فحبسه العباس حيث أمره رسول الله صلى
الله عليه وسلم، فمرت القبائل على ركبائها،
فكلما مرت قبيلة قال: من هذه؟ فأقول: بنو
سليم، فيقول: مالي ولبنى سليمان، ثم تمر أخرى
فيقول: ما هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: مالي
ولمزينة.

فلم يزل يقول ذلك حتى مرت كتيبة رسول
الله صلى الله عليه وسلم الخضراء⁽¹¹⁶⁾ فيها
المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق، قال:
من هؤلاء. فقلت: هذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد
بهؤلاء قبل، ولا طاقة!، والله يا أبا الفضل لقد
أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيمًا! قال: قلت: يا
أبا سفيان، إنها النبوة. قال: فنعم إذن⁽¹¹⁷⁾.

وذهب أبو سفيان مهورًا ليعلن لقريش
الأمان، لمن دخل دار أبي سفيان، أو دخل
المسجد، أو أغلق عليه بابه.

ولم يفكر أحد في المقاومة إلا ما كان من
صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل
بن عمرو في نفر من قريش، ولقد لقيهم خالد
بن الوليد في

مَجْدٍ

بَيْتِهِ⁽¹¹⁸⁾ فناوشوهم شيئًا من قتال ثم انهزموا
وقتل منهم من قتل.

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
متخشعًا متواضعًا متذللًا لله تعالى، حتى إذا وصل
البيت حطم الأصنام، ومحا التصاوير معلنًا سقوط
آخر قلاع الوثنية، وانتصار التوحيد، وبسط سلطان
الإسلام على الجزيرة العربية.

وكان فتح مكة هو الضربة الأخيرة التي أجهزت على الإصرار العنيد الذي تذرعه القرشيون حيناً من الدهر، فاستيقظت عقولهم وفطرهم على أصداء هذا الانتصار الأخير، فأسلم عامتهم - لا خضوعاً للسلطان فحسب، ولكن لأن هذا الانتصار قد قشع عن نفوسهم غشاوة العناد، والتردد، والتعصب، وجعلهم أمام الحقيقة وجهًا لوجه.

وبفتح مكة أحكم المسلمون السيطرة على الجزيرة العربية -عمومًا- وزالت غربة الدين، وغربة أهله، إذ أصبحوا سادة الجزيرة، وحماة المقدسات، حتى قال صلى الله عليه وسلم: "**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية**"⁽¹¹⁹⁾، وصارت جميع القبائل تسعى إليهم، وتخطب ودهم، وتفكر تفكيرًا جادًا في الدين الذي جاءوا به، فتؤمن أنه الحق، بلا مريية، فتذعن له⁽¹²⁰⁾؛ ولهذا برزت ظاهرة الوفود، حتى سميت السنة التاسعة: سنة الوفود.

قال ابن إسحاق: "وإنما كانت العرب تربص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن قريشًا كانوا إمام الناس، وهاديهم، وأهل البيت الحرام، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقادة العرب لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه، فلما افتتحت مكة، ودانت له قريش، ودوخها الإسلام، وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته، فدخلوا في دين الله، كما قال عز وجل: **(أَفْوَاجًا)**، يضربون إليه من كل وجه" (121).

وقد كان من الوفود التي قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم معلنة المولاء، والسمع والطاعة، والإسلام: وفد بني تميم، ووفد بني سعد بن بكر، ووفد بني حنيفة، ووفد طيء، ووفد بني زبيد، ووفد كندة.

واستعراض الوفود يبين أنها تمثل معظم القبائل العربية القاطنة في الجزيرة⁽¹²²⁾. وهكذا أصبح الغرباء المطرّدون سادة وأئمة، وأورثهم الله عز وجل أرض المشركين، وديارهم، وأموالهم، ومكّن لهم في الأرض، وجعل الدائرة على أعدائهم⁽¹²³⁾.

8- الأفق العالمي للدعوة:

ولقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على رسم بداية لنشر الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية، سواء عن طريق الدعوة بالحسنى والكلمة الطيبة، أو عن طريق بسط نفوذ الدولة الإسلامية وتوسيع سلطانها، والذي يتم بالجهاد في سبيل الله.

فقد راسل صلى الله عليه وسلم الملوك والجبابة يدعوهم إلى الله، ويبلغهم، خاصة بعد الحديبية.

عن أنس رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى. وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم⁽¹²⁴⁾.

فبعث صلى الله عليه وسلم دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر، وعبد الله ابن حذافة السهمي إلى كسرى، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس عظيم القبط، وغيرهم من الرسل إلى غيرهم من الملوك، كما كاتب -صلى الله عليه وسلم-، زعماء اليمن، وحضرموت، وبعض القبائل العربية التي تلبثت بإسلامها.

وكان لهذه الكتب أثر عظيم في نشر الإسلام حيث كان من هؤلاء الزعماء والملوك وأمراء القبائل من أسلم ودخل في الدين، وكان منهم من أعلن خضوعه لحكم الإسلام، ودخوله في طاعة الدولة، هذا إلى ما لها من أهمية في إعلان الإسلام في أطراف الجزيرة، وخارجها وإقامة الحجة على هؤلاء، وتبليغهم ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون ذلك تمهيداً لقتال من أبى الإسلام منهم.

وقد عمقت هذه المراسلات الشعور لدى المسلمين بضرورة تحقيق عالمية الإسلام تحقيقاً عملياً، والانتقال بالدعوة إلى آفاق جديدة، ومواقع جديدة⁽¹²⁵⁾.

أما الجانب العسكري فقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بعثًا من أصحابه إلى مؤتة، في مطلع السنة الثامنة للهجرة، وأمر عليهم زيد بن حارثة، فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة، والتقى المسلمون مع جموع غفيرة من الروم ومن انضم إليهم من قبائل لخم وجذام، وبلقين، ويلي وغيرهم.

وقد اختلف المؤرخون: هل انتصر الروم؟ أو المسلمون؟ والذي رجحه ابن إسحاق أن خالد بن الوليد لما أخذ الراية بعد مقتل الأمراء الثلاثة دافع القوم وحاشى بهم، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف الناس⁽¹²⁶⁾.

ثم كانت غزوة تبوك في السنة التاسعة حيث خرج النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه لغزو الروم وإحكام السيطرة على القبائل القاطنة في الشمال، فصالح صاحب أيلة⁽¹²⁷⁾ على الجزية، وكذلك أهل جرباء⁽¹²⁸⁾ وأذرح⁽¹²⁹⁾.

وبعث خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة الجندل⁽¹³⁰⁾ فأخذه وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فصالحه على الجزية، ثم قفل الرسول صلى الله عليه وسلم عائداً إلى المدينة⁽¹³¹⁾.

إن أهمية هاتين الغزوتين لا تقاس بمدى النصر المادي الذي أحرزته، أو النتائج العسكرية التي ترتبت عليها فحسب؛ بل إن مداها أوسع من ذلك فهي تأكيد من النبي صلى الله عليه وسلم في حال حياته لما يريد أن يفعله خلفاؤه من بعده، من توسيع رقعة الدولة الإسلامية، وتنشيط حركة الفتح وإخضاع الدنيا لحكم الإسلام.

ولعل من العجيب أن يكون آخر بعث جهزه الرسول صلى الله عليه وسلم هو بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين حيث تجهز معه الناس، وأوعب معه المهاجرون الأولون⁽¹³²⁾.

وقد قبض النبي صلى الله عليه وسلم قبل رحيل هذا البعث ليتولى تسييره الخليفة الأول، وفي هذا من الدلالة ما لا يخفى.

زوال غربة الإسلام:

وفي نهاية هذا العرض العام المجمل لأهم خطوات مواجهة الغربية الأولى وإزالتها ودفعها؛ يتضح للمتأمل المسافة البعيدة التي قطعها المسلمون خلال سنين وجيزة من أعمار الأمم والجماعات، فخلال ثلاثة وعشرين عامًا -فحسب- أعلنت الدعوة، ثم ظلت حبيسة بين جوانب مكة -غالبًا- مدة ثلاث عشرة سنة، ثم أقيمت الدولة وقضي على المذاوئين من المشركين، واليهود وغيرهم، وأخضعت الجزيرة لحكم الإسلام، وبدأت المحاولات الأولى للقضاء على دولتي فارس والروم وغيرهما - خلال عشر سنوات.

وهذا نصر لم يشهد التاريخ له مثيلاً، - ولن يشهد -، خاصة إذا تأملنا البعد العقدي لهذه الدولة، إذ لم تكن دولة الإسلام دولة جبروت ترسي دعائم ملكها على الجثث والأشلاء؛ بل كانت دولة رحمة وهداية ترسي دعائمها على عروش القلوب، فتلين لها النفوس وتنقاد؛ لأنها قامت لتحقيق عبودية الناس لربهم، وتحريرهم من عبوديتهم للطواغيت المادية، أو المعنوية.

ولذلك كان جنودها من كل الأجناس، والشعوب، والأمم، وكانت البلاد المفتوحة سرعان ما تؤدي دورها في حمل الرسالة بجد، وحماس، حتى سيطر المسلمون خلال مدة وجيزة من الزمان على معظم أنحاء المعمورة.

ولقد تحول المسلمون من قلة مستضعفة مقهورة إلى أمة يرثون الأرض من بعد أهلها، ويقودون ركب البشرية إلى حيث الأمن والإيمان، وحقق الله لهم ما سبق في سنته الماضية في الأمم كلها من التمكين للصالحين، ورفع الاستضعاف عنهم. قال تعالى: **(وَتُرِيدُ أَنْ تَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۗ وَتُمكنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ)** (133).

وقال تعالى: **(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْقَاسِيُونَ)** (134).

وقال تعالى: **(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ
بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ)** (135).

كما حقق الله تعالى سنته الماضية في أعدائهم ومناوئهم، فأذاقهم مرارة الهزيمة والقتل المهين، وطوى ذكركم وأخمل شأنهم حتى لا يذكرهم أحد إلا باللعنة والمقت، وما أعد لهم من عذاب الآخرة أشد وأبقى.

عن حذيفة - رضي الله عنه - في قوله تعالى: **(فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ
لَهُمْ)** (136).

قال: ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة، ولا من المنافقين إلا أربعة. فقال أعرابي: إنكم - أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم تخبروننا، فلا ندري، فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا، ويسرقون أعلاقنا؟ قال: أولئك الفساق. أجل: لم يبق منهم إلا أربعة، أحدهم شيخ كبير لم يشرب الماء البارد لما وجد برده (137).

وبهذا ارتفع شأن الإسلام واندحر شأن الكفر والنفاق، وتحقق للمسلمين ما وعده به الرسول صلى الله عليه وسلم حين كانوا يشتكون إليه أذى قريش وظلمها وتعذيبها لهم، ويقولون ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ فيقول صلى الله عليه وسلم: ".. **والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**" (138).

إن الله عز وجل لا بد أن ينصر عباده المؤمنين الصادقين وهو الذي يحدد - بعلمه - الوقت الذي ينصرهم فيه، والحال التي ينصرهم عليها.

ولم يكن هذا النصر الذي منحه الله للمؤمنين مرتبطاً بشخص أو أشخاص يزول بزوالهم؛ بل إن جذوره لتضرب في الأرض، وتقاوم عوادي الحدثان، على مر العصور، وكر الدهور.

فقد ظلت دولة الإسلام - رغم ما أصابها من انحرافات - قائمة ممكنة يستظل بظلها المسلمون قرونًا طويلة، حتى إذا تمكن اليهود من الإجهاز على طليحها الفاني ظل الإسلام يشمخ برأسه عزيزًا في سائر بلاد الإسلام يمثله المؤمنون المستمسكون، والعلماء العاملون، والدعاة المخلصون، والمجاهدون المستبسلون، تصديقًا لموعود رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقاء الطائفة الظافرة المنصورة.

**(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا
الْمُرْسَلِينَ ■ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ■ وَإِن
جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُّونَ ■ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى
جِئِنَّا ■ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ■
أَفْبِعْدَانِيَا يَسْتَعْجِلُونَ ■ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ
فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ■ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى
جِئِنَّا ■ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ■ سُبْحَانَ
رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ■ وَسَلَامٌ عَلَى
الْمُرْسَلِينَ ■ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (139)**

عوامل ووسائل دفع الغربة:

لقد أنشأ الرسول صلى الله عليه وسلم بفضل الله، وعونه، ومدده دولة من العدم، دانت لها الأقطار والأمم، راضية مختارة، وأقام دعوة خالدة تالدة، جعل الله العزة والتمكين لمن اتبعها وحالفها، والذل والصغار على من أباهها وخالفها، وأورث الله القوم المذنبين كانوا يستضعفون مشارق الأرض، ومغاربها، وجعل من رعاة الشاة والغنم، رعاة الشعوب والأمم.

وحين نبحت عن عوامل تكوّن هذا البناء الشامخ المائل عبر العصور، المقاوم لعوامل الهدم والخراب، نجد أن السبب الرئيسي في ذلك هو عون الله وتوفيقه لهذه الدعوة وحملتها، لما علمه منهم من صدق السرائر، وصلاح الظواهر، والتجرد من المطامع الدنيوية، فكانوا -هم- جنده الغاليين، وعباده المنصورين، وإن الأسباب المادية والعوامل البشرية وحدها لا يمكن أن

تفسر

ما حدث أبدًا، فما حدث كان أكبر من الأسباب المادية، وأكبر من العوامل البشرية.

ولكن هذه الأسباب والعوامل تصلح أن تكون "جزءًا" -فحسب- من توفيق الله لهذه الدعوة، ورحمته لها؛ بل رحمته البشرية بها.

ولو نظرنا إلى الأسباب المادية -مجردة عن المدد الإلهي- لوجدنا أنه كان من الممكن أن تنجح خطة من خطط قريش في اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم، ومن الممكن أن يقتل الرسول صلى الله عليه وسلم في بدر أو غيرها كما قتل نبيون قبله، ومن الممكن أن تنكشف خطة الهجرة للمشركين، ومن الممكن أن تتداعى القبائل بقيادة قريش -الموتورة يوم بدر- لترمي المسلمين عن قوس واحدة وتناجزهم.

ومع أن هذا كله كان ممكنًا؛ بل حصل ما يشبه بعضه⁽¹⁴⁰⁾، فإن الله كان يحوط دعوته، ويحميها، ويكلأ رسوله، وقد سبقت كلمته بأن سينصر هذا النبي وهذا الدين، ويقيم لهم الدولة، ويقيم بهم الملة، ويمحق بهم الكافرين.

ويوم يتخلى الله عن فرد أو أمة تتحول الأسباب المادية لنصرهم أسبابًا إلى الهزيمة، وكما قيل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يجني عليه اجتهاده

فلا بد عند دراسة أو تحليل أي موقف من المواقف العَقَدية الدينية، من استحضار البعد الإيماني الذي يستجلب توفيق الله وعونه ونصره.

وبقدر ما يتحقق به المؤمنون من الصفات الإيمانية، وبقدر قوتهم في تنفيذ التوجيهات الربانية، يكون عون الله لهم.

أما حين نلتفت إلى العوامل والأسباب الظاهرة، فإننا نجد أولاً أن كل دعوة أو حركة تعتمد على أسس ثلاثة:

الأول: المبدأ أو المعتقد الواضح المتميز الذي تنادي به وتقوم من أجله أيًا كان هذا المبدأ، ومنه تتحدد أهدافها وغاياتها، وعلى ضوءه تكون نظمها ومناهجها.

الثاني: الأنصار والأتباع الملتفون حول هذا المبدأ، الملتزمون به.

الثالث: القيادة التي تسير بهؤلاء الأتباع إلى تحقيق الأهداف.

فإذا توفرت هذه الأسس الثلاثة، من وجود معتقد واضح صحيح، تتحدد على ضوءه المقاصد والغايات، ووجود أنصار صادقين مؤمنين مستعدين للتضحية في سبيل نجاح معتقدتهم، ووجود قيادة حكيمة قوية قادرة على السيطرة على المواقف والتوجيه السليم، وتجنب العثرات ما أمكن.

إذا وجدت هذه الأسس، وتحققت لدعوة ما، احتاجت في نجاحها إلى أمرين:

الأول: تهيؤ الظروف المكانية.

الثاني: تهيؤ الظروف الزمانية.

وقد تجد دعوات قوية ذات عقيدة واضحة سليمة، نجحت في جمع الناس حولها، وكان لها قيادات تملك قدرًا من الحكمة والقوة، ولكنها لم تراع - حق المراعاة- الظروف المكانية أو الزمانية التي تتحرك فيها، فلم تنجح في الوصول إلى مبتغاهما؛ لأنها تحركت في مكان غير ملائم، أو زمان غير ملائم.

وتجد دعوات أخرى لا تملك المعتقد الواضح الذي تجمع الناس عليه، ولا تملك من الأتباع المؤمنين كما تملك تلك، ولكنها استطاعت أن تستفيد من عنصري الزمان والمكان، وأن تراقب الفرص المواتية وتتعامل معها بذكاء فكانت أكثر نجاحًا، وأقل تضحية، وما أكثر هذا في المدعوات المناهضة للإسلام كالشيوعية، والبعثية، والنصيرية، والعلمانية.

وحين نطبق هذه المفهومات العامة على المدعوة الإسلامية الأولى، نجد أنها استكملت الأسس الثلاثة أتم استكمال، ثم انتفعت بعنصري الزمان والمكان أتم انتفاع، فكان نجاحها فوق كل نجاح:

1- فأما المعتقد الذي التف حوله المؤمنون، فكان هو الإسلام، وهو المدين الإلهي المهيمن على الأديان كلها، والذي لا يقبل الله في الآخرة سواه، وقد جاء كتابه القرآن جامعًا للأصول والقواعد العامة في جميع شؤون الحياة، مفصلاً للجوانب المهمة في الاعتقاد، والأحكام، والسلوك، محدّدًا للمصادر التشريعية الأخرى التي يحيل عليها.

يقول الله تعالى: **(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى
لِلْمُسْلِمِينَ)** ⁽¹⁴¹⁾.

ويقول صلى الله عليه وسلم: "ألا إني
أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل
ينثني شعباناً على أريكته، يقول: عليكم
بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال
فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام
فحرموه" ⁽¹⁴²⁾.

هذا من حيث حقيقة هذا الدين وهذه الدعوة،
أما من حيث وضوحها في عقول المؤمنين بها،
وقلوبهم، فكانت في الغاية العليا - كذلك.

وذلك راجع إلى ربانية هذا الدين، حيث جاء
ملائماً للفترة، منسجماً معها، فبمجرد أن
يصغى الإنسان لداعي الإيمان، برغبة صادقة،
يشرق الإيمان في قلبه، وينهار الركाम المطبق
عليه.

إضافة إلى طبيعة المؤمنين، حيث لم تفسد عقولهم الفلسفات البشرية، ولم تلوث نفوسهم المظاهر المادية، وكان انحرافهم - قبل - قريباً سهلاً الاندفاع، وكانوا قريبين من مصدر هذا الدين، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم، والوحي ينزل عليه بكرة وعشيّاً ولذلك كانوا أعلم الناس بالله وأطوعهم له وأبعدهم عن التكلف .

أما وضوح الدعوة لسائر الناس، فإن النبي صلى الله عليه وسلم جهر بدعوته في وقت مبكر من الرسالة لتحقيق هذا المطلب، وأعلنها على الملأ بلا تلجج ولا غموض⁽¹⁴³⁾، ومنذ أعلن صلى الله عليه وسلم دعوته صارت دعوة الإسلام واضحة جلية ليس فيها مجال للالتباس.

ولقد حاول المشركون - منذ البداية - إخفاء حقيقة هذه الدعوة، أو تشويهها، والتشكيك في سلامة أهدافها فلم يفلحوا.

**(وَإِن طَلَّقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا
وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهِتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
يُرَادُ)⁽¹⁴⁴⁾**

قال الإمام الطبري: "أي إن هذا القول الذي يقول محمد، ويدعونا إليه، من قول: لا إله إلا الله، شيء يريد مننا محمد، يطلب به الاستعلاء علينا، وأن نكون له فيه أتباعًا، ولسنا مجيبه إلى ذلك" (145).

كما أطلقوا على النبي صلى الله عليه وسلم أوصاف الشعر، والسحر، والكهانة، وغيرها. فكان الإعلان والصدع قضاء على هذه الشائعات، وتبينًا للحقيقة التي لا بد أن يعلمها الناس أجمعون.

وحين انطلق المسلمون من المدينة للجهاد في سبيل الله، كانت الدعوة إلى الإسلام تسبق كل هجوم عسكري على قبيلة، أو بلدة -خاصة إن كانت لم تبلغها الدعوة- كما في حديث بريدة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال)، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنمة والفداء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلّمهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم"** (146).

وما بعثه صلى الله عليه وسلم أصحابه وكتبه
إلى القبائل والملوك في الجزيرة وغيرها⁽¹⁴⁷⁾، إلا
جزءًا من الجهد الذي يهدف إلى إيضاح حقيقة
الدعوة وأهدافها للناس؛ ليحيى من
→

عن بينة، فيؤمن بهذه الدعوة ويناصرها عن علم
وبصيرة، ويهلك من هلك عن بينة، فيحارب الدعوة
ويقاومها عن علم أيضًا.

2- أما الأنصار الملتفون حول هذا المعتقد
فقد جمعوا، إلى الخصائص الفطرية، الخصائص
الإيمانية.

فقد كانت الأمة التي ينتسبون إليها خير أمم
الأرض -على ما أصابها من الانحراف، والفساد-
وقد تحصنت بصحرائها المترامية عن زيف
الحضارات المادية، وتخليطات الفلسفات البشرية،
فكانت أقرب إلى الفطرة، والسلامة، من غيرها.

وقد توارثت العديد من الصفات الخيرة،
كالشجاعة، والكرم، والنجدة، والصدق،
والصراحة، والغيرة.

وكان إسراع الرعيل الأول، فمن بعدهم -ممن لهم شأن وخطر في نشر الدعوة، والقيام بها- دليلاً على استيلائهم على الذروة العليا من هذه الأخلاق الكريمة، وتخلصهم من كثير من قبائح البيئة العربية.

وأية ذلك ما تحملوه في سبيل دينهم من الضر والجهد، فما ثنى ذلك من عزائمهم، ولا أضعف يقينهم، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً⁽¹⁴⁸⁾.

ثم ما ظهر على سلوكهم وأعمالهم في الحرب والسلام، والعسر واليسر، من التأثير العميق بهذا الدين، والاستجابة التامة لله والرسول، حتى ضربوا في ذلك الأمثلة الفذة، التي يشهد التاريخ أنه لم يشهد لها مثيلاً.

وقد اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم على علم، ثم قيض لهم من أسباب التربية والبناء والتكوين، ما لم يتيسر لغيرهم.

فكانت صحبتهم لسيد المرين صلى الله عليه وسلم وبنائهم على عينه، مزية وفضيلة زكت نفوسهم، وجردتها من إرادة غير الله، حتى صارت أعمالهم مضاعفة الأجور أضعافاً لا يدركها غيرهم.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:
قال النبي صلى الله عليه وسلم: **" لا تسبوا
أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد
ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه "**⁽¹⁴⁹⁾.

هذا إلى ما كان من شدة العوز والحاجة إلى
النفقة في زمنهم، لشدة الحال، وضيق ذات
اليد، ولذلك قال تعالى: **(لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ
أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ
دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا
وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ)**⁽¹⁵⁰⁾.

وكان من صنيع الله لهم - خاصة في الفترة
المكية - أن وفقهم لاحتمال ألوان الأذية الحسدية
والمعنوية، التي كانت قريش توجهها إليهم، وكانت
مما لا طوق للإنسان باحتماله، لولا تثبيت الله،
وأمرهم - مع ذلك - بكف اليد، وعدم الانتصاف من
المعتدين، ووجههم إلى العبادة لما فيها من المعونة
على الصبر، فتحرروا بذلك من الغضب للنفس،
والانتصار لها، وتجردوا من إرادة الدنيا - بجميع
صورها - وتعلقوا بالآخرة، ونعيمها، وخيرها، وسلموا
من رذات الفعل الضارة لدعوتهم، المفسدة
لنفوسهم، وهم الذين ورثوا النخوة العربية، والثأر
والشجاعة والحمية.

وإنك لتجد كثيرًا من الناس قد تثيرهم
الحماسة الطائشة إلى الانتقام والانتصار، وتزين
لهم نفوسهم أنهم ما غضبوا إلا لله، وما تأثروا إلا
لدينه، فإذا جد الجد، وعزم الأمر، انفلت
عزائمهم، ووهنت قواهم.

قال تعالى: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا)**

(151)

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عبد الرحمن بن عوف، وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ بمكة، فقالوا: يا رسول الله، إنا كنا في عز، ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، فقال: **إني أمرت بالعفو، فلا تقاتلوا، فلما حولنا الله إلى المدينة، أمرنا بالقتال، فكفوا، فأنزل الله عز وجل: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ)** (152)

3- أما القيادة التي حملت هذه الدعوة، وجمعت الناس عليها، فيقف في مقدمتها النبي صلى الله عليه وسلم ثم كبار أتباعه، ومقدموهم، كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وغيرهم.

والرسول صلى الله عليه وسلم هو خاتم
الرسول، وأفضلهم والمخصوص بالمزايا والفضائل
التي ما حازها غيره، من آدم فمن دونه، وقد
ألفت في شمائله، وأخلاقه، وخصائصه، مؤلفات
مستقلة، فضلاً عن الأبواب المتعلقة بذلك في
سائر كتب السنة⁽¹⁵³⁾.

ومن الجوانب البارزة في شخصيته صلى
الله عليه وسلم ما يلي:

(أ) كمال خُلقه، واتصافه باللين،
والسماحة، والصبر، والإحسان، والتجاوز،
والجود، وحسن المعشر؛ ولذلك كان من رآه
أحبه، فإذا عاشره ازداد له تعظيمًا وإجلالًا، مع
الإلفة، والاطمئنان إليه، ولا تكاد تبدر منه بادرة
غضب، أو عنف، إلا أن تنتهك حرمة الله،
فيغضب لله، لا لنفسه.

إلى ما حباه الله من القوة، والهيبة، والوقار.
ومن كان كذلك كان حرًّا أن يؤلف حوله
القلوب، ويروض نافر النفوس، ويستل راسخ
السخائم، والأحقاد، وهكذا كان صلى الله عليه
وسلم.

قال تعالى: (فِيهَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِنَبِّئَتْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) (154).

(ب) كمال حكمته صلى الله عليه وسلم فقد آتاه الله من وفور العقل، وبعد النظر ما لم يؤت أحدًا من العالمين.

وقد زكى هذه المنحة بكثرة المشاورة لأصحابه، والاستئناس بقولهم، والرجوع إلى رأيهم إذا رآه صوابًا امثالاً لقوله تعالى: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (155).

وما عزم صلى الله عليه وسلم على أصحابه في أمر إلا كان الخير فيه، والضرر في خلافه.

(ج) وضوح شخصيته وضوحًا تامًا للعدو والصديق، والقريب والبعيد قبل البعثة وبعدها، في حالة الحرب والسلام.

فقد اعترف أعداؤه الألداء في حالة عداوتهم له باستقامته، ومباعدته لأخلاق الجاهلية، وبراءته من كل ما يدنس حاشيته، كما اعترفوا بصدقه، وأمانته، وعفاه، وعزوفه عن مطامع الدنيا، والشهرة، والجاه، والرياسة، وعلموا ذلك منه علم اليقين.

فلما احتاجوا في حربهم له أن يغمزوه بما يشينه لم يجدوا شيئاً من ذلك البتة⁽¹⁵⁶⁾، فحاولوا أن يجعلوا من فضائله معائب، ومن محاسنه مساوئ، فصاروا كما قيل:

إذا محاسني اللاتي أدلُّ بها.. كانت ذنوبًا..
فقل لي: كيف أعتذر؟

كما حاولوا أن يلصقوا فيه ما هو منه براء، فلم يفلحوا في هذه، كما لم يفلحوا في تلك⁽¹⁵⁷⁾.

ذلك لأن شخصيته صلى الله عليه وسلم كانت غير قابلة لتلك الدعاوى والافتراءات، فكان كل من عرفه يدرك بلا عناء كذبها، ومن سمعها فسبقت إلى عقله، فسرعان ما تنزول بمجرد مقابلته للنبي صلى الله عليه وسلم أو محادثته له.

ولذلك يقول عبد الله بن سلام رضي الله عنه: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استثبت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب⁽¹⁵⁸⁾.

إن أعماله وتصرفاته صلى الله عليه وسلم لم تتلبس بشيء من الغموض، والتورية، والتأويل، الذي يلجأ إليه أهل السياسة؛ بل كانت واضحة، سهلة، بعيدة عن الالتواء، والتحايل.

(د) ومع هذه الخصائص والصفات حباه الله اليقين الراسخ الذي لا يمكن أن يتطرق إليه ضعف أو تردد، وإيمان المرء، ويقينه بدعوته، هو أول خطوات الطريق إلى إقناع الآخرين بها، ودعوتهم إليها.

ولقد يوجد أشخاص آمنوا بالباطل، وتشبعت به نفوسهم، فاستطاعوا دعوة غيرهم إليه، وحققوا شيئاً مما يريدون، فما بالك بمن يؤمن بالحق؟.

إنه يجمع إلى قوة الحق الذاتية، قوته
الشخصية في عرض الحق والدعوة إليه.

أما عن استفادة الدعوة من عنصرى الزمان والمكان:

فثمة جانب قدرى إلهى لم يكن من عمل
الإنسان واختياره، ولكنه من صنع الله العليم
الحكيم لدعوته ودينه.

فقد أرسل رسوله على حين فترة من
الرسال، وفي زمان طمست فيه معالم الحق،
وحرقت فيه الديانات السماوية، وسيطرت على
الناس النزعات المادية، والشهوات البهيمية،
فكانوا أحوج ما يكونون إلى دين ربانى، ينقذهم
من حماة الرذيلة والانحطاط، ويحيى فيهم
الكرامة الإنسانية.

وكان العرب -أيضًا- يعانون من فساد
الأحوال الدينية، والخلقية، والاجتماعية، وقد
سئموا من الحروب الطاحنة، وسفك الدماء، ولم
يكن لهم دين صحيح يؤمنون به، ولا شريعة
يحتكمون إليها⁽¹⁵⁹⁾، وقد ترنحت أواصر النسب،
والقربى، والرحم، أمام المعارك التي كانت تقع
بين ذوي القربى، وبين الأخوين كما يقول
القطامى⁽¹⁶⁰⁾:

وأحيانًا على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

وقد وصف تلك الحال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حين قال للنجاشي: كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف⁽¹⁶¹⁾.

وكانت مكة -بالذات- تعاني من شدة الشره، والحرص على المال، والقسوة على الضعفاء، بسبب سيطرة الروح التجارية عليها، وقصة أبي جهل مع الأراشي معروفة⁽¹⁶²⁾، وغيرها مثلها كثير.

وكانت المدينة تعاني من النزاع المسلح بين الأوس والخزرج، الذي يهدد بالانفجار في كل لحظة، كما تعاني من خطر دخول اليهود في صراع مسلح معهم، كما كانوا يهددون بذلك⁽¹⁶³⁾.

وفي ظل هذه الظروف الزمانية القدرية كانت نشأة الدعوة وكان انتقالها، واستقرارها.

وكان في اختيار الله تعالى للجزيرة، ثم لمكة، والمدينة -خاصة- مكانًا للدعوة. حكمة عظيمة.

فكانت الجزيرة بيئة صحرابية جافة، تتفشى فيها البداوة، ولم تكن مجتمعاتها مجتمعات حضرية، ولم تنشأ فيها حكومات مركزية، وكانت القبيلة هي كل شيء في نظر العربي.

ولذلك صارت حياتهم قاسية، جلبت المشقة لأصحابها، ولمن يقيم على مقربة منهم من الحضر، فهم في نزاع دائم فيما بينهم، ثم هم في نزاع مع الحواضر المجاورة.

وهذا الجانب من البيئة المكانية أفاد الدعوة بعدة أمور:

(أ) من حيث طبيعة الأتباع المؤمنين بالدعوة، والذين ولدوا وتربوا في هذه الجزيرة، فكانوا بعيدين عن فساد الحضارات، قريبين من الفطرة، سريعي القبول، واضحى الشخصية.

(ب) ومن حيث طبيعة الأعداء المناوئين للدعوة، حيث كانوا صعبى الانقياد، شديدي التنافس على الرياسة، لا تكاد تجتمع أهواؤهم على شيء، ولا تلتقي على قائد، نظرًا لطبيعة الغلظة والأنفة فيهم.

وهذه الطبيعة - وإن كانت موجودة في العربي غالبًا - إلا أن الدين يهذبها، حيث يكون الموازع لهم من أنفسهم، فيذهب خلق الكبر والمنافسة، ويسهل انقيادهم واجتماعهم⁽¹⁶⁴⁾.

ولذلك لم تكد تجتمع القبائل وتتفق على حرب النبي صلى الله عليه وسلم، بل استفاد المسلمون من هذا التناقض القبلي في مواقف كثيرة - خاصة في الفترة المكية-⁽¹⁶⁵⁾.

(ج) وعدم وجود سلطة مركزية كان له أثره في إضعاف مقاومة الدعوة - خاصة مع وجود التنافس القبلي-؛ ولذلك تصاب كثير من الدعوات التي تقوم في ظل حكم مركزي بالفشل، لأن الحكم المركزي يأخذ على عاتقه مقاومة الدعوة وجمع الناس على حربها، وتسخير إمكانياته للقضاء عليها، وحال الدعوة الإسلامية تحت رقابتها وتسلطها كالذي يقول: أين المفر؟ البحر أمامكم، والعدو وراءكم!.

(د) كما كان للوضع القبلي أهمية في حركة الدعوة حيث استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستفيد من إيجابياته، ويتخلص من سلبياته.

فقد جمعت الدعوة أتباعًا من شتى العشائر
والقبائل - منذ بدايتها، وهذا يضمن عدم التصاق
الدعوة بقبيلة واحدة، بحيث يدعو التشاحن
القبلي إلى نبذ الدعوة؛ لأنها دين تلك القبيلة.

ثم استفادت الدعوة من تلك العصبية في
حماية قائدها - خاصة في بداية أمرها - وقد تفانى
بنو هاشم، وبنو المطلب، في المدافعة عن النبي
صلى الله عليه وسلم بصورة مذهلة⁽¹⁶⁶⁾،
يحكي طرفًا منها أبو طالب حيث يقول:

كذبتُم - وبيتِ الله - نبي محمدًا
ولما نطاعن دونه
ونناضل

ونسلمه حتى نصرَّع دونه
ونذهل عن أبنائنا
والحلائل⁽¹⁶⁷⁾!

ثم كان قائد الدعوة صلى الله عليه وسلم
يعرض نفسه على القبائل ويطلب منها الإيواء
والنصرة⁽¹⁶⁸⁾، وهذا دليل واضح على أهمية
القبيلة - في بيئة الجزيرة العربية - في نصر
الدعوة، وحماية قائدها وأتباعها.

(هـ) والجزيرة العربية هي المكان الذي يمكن أن يخلص للدعوة، ليظل منطلقًا لها، بعيدًا عن المؤامرات التي تهدده من الداخل.

ومع وجود اليهود والنصارى فيها، حيث كان اليهود يقطنون في خيبر، وتيماء وقَدَك، ووادي القرى⁽¹⁶⁹⁾، والمدينة، وفي بعض بلاد اليمن، والنصارى يقطنون في نجران⁽¹⁷⁰⁾.

فإنهم كانوا -بالنسبة لسعة الجزيرة- قليلين، ومعظمهم طارئون عليها، وهم في مناطق محددة يصعب عليهم التحرك في غيرها، ويسهل حصارهم فيها، وإجلاؤهم منها.

ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي بإخراج المشركين كافة من الجزيرة، وهو في مرض موته: كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس؟ اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه، فقال: **ائتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا، فتنازعوا، ولا ينبغي عند النبي تنازع، فقال: ما شأنه؟ أهجر؟ استفهموه، فذهبوا يردون عليه، فقال: "دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه وأوصاهم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالثة، أو قال فنسيتها"**⁽¹⁷¹⁾.

ب

ص
ح صلى الله عليه وسلم بإخراج اليهود والنصارى خاصة، فعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حتى لا أدع إلا مسلمًا"**⁽¹⁷²⁾.

وبالنسبة للبيئة المكانية الخاصة في مكة، فقد كانت مكة مركزًا دينيًا عند العرب، حيث يوجد البيت والمشاعر، وآثار الحنيفية وذكرياتها، وكانت العرب تعظم البيت وتحججه، وهذا جعل لمكة ولقريش خصائص فريدة، قال الإمام الخطابي رحمه الله: "وبلغني عن بعض العلماء أنه سئل عن قریش، كيف صارت أفضل العرب قاطبة، وإنما هي قبيلة من مضر؟ فقال: لأن دار قریش لم تنزل موسم الناس، ومنسك الحاج، وكانت العرب تقصدها في كل عام لحجهم، وتردها لقضاء نسكهم، فهم لا يزالون يتأملون أحوالهم، ويراعونها، فيختارون منها أحسن ما يشاهدونه، ويتكلمون بأفصح ما يسمعون من كلامهم، ويتخلقون بأحسن ما يرونه من شمائلهم، فصاروا أفضل العرب من قبل حُسن الاختيار، الذي هو ثمرة العقل، فلما ابتعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم منهم، تمت لهم الفضيلة، وكملت لهم به السيادة" (173).

ولذلك صارت مكة -أيضًا- مركزًا تجاريًا، وحوله تقوم الأسواق المشهورة للعرب، وهذا جعلها مكانًا مناسبًا لانطلاق الدعوة الإسلامية المجددة للملة الحنيفية، وجعل من ارتياد العرب لها للحج، أو التجارة أو غيرهما فرصة لمحدثتهم، ونشر الدعوة بينهم، وهذه كانت أقوى وسيلة إعلامية ممكنة في ذلك العصر.

وقد استفاد النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الميزة، فكان يعرض نفسه على الناس في المواسم، والأسواق⁽¹⁷⁴⁾، وكانت قريش تلقى عناءً، وعناءً شديدًا، في حجب حقيقة النبوة عن العرب.

أما المدينة، فبالإضافة إلى قربها من مكة، ووجود الروابط القوية بينهما، فقد كانت توجد فيها قبيلتا الأوس والخزرج، وهما قبيلتان كبيرتان تتمتعان بالقوة، كما كانت المدينة أقدر من غيرها على استيعاب جموع المهاجرين إليها، وإيجاد المجالات المناسبة لعملهم، فضلًا عن وقوعها في طريق القوافل التجارية المتجهة نحو الشمال من مكة مما يسهل حصار مكة منها، وتضييق الخناق عليها إذا دعى الأمر⁽¹⁷⁵⁾.

وهذه الأسباب: زمانية ومكانية لا تعدو أن تكون تلمسًا لبعض الحكم الإلهية في توقيت الدعوة، وتحديد مكانها.

ولكن ثمة جانب آخر مهم في مراعاة عنصري الزمان والمكان، وهو الجانب المتعلق باجتهد البشر وجهدهم في تحديد الزمان المناسب، والمكان المناسب، وهو في السيرة باب واسع أكتفي بالإشارة إلى بعض أمثله.

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر من أسلم من القبائل الأخرى أن يستخفي بإسلامه ويقول: **"فإذا سمعت أني قد ظهرت فأنتي"** كما حدث لعمر و ابن عبسة حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: إنى متبعك: **"إنك لا تستطيع يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت فأنتي"** (176)، ومثله أبو ذر رضي الله عنه حيث قال صلى الله عليه وسلم: **"ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري"** (177).

وذلك لأن توقيت إعلانهم الإسلام في الساعة التي أسلموا فيها غير ملائم، وإنما ينبغي أن يذهبوا إلى قومهم، وينشروا الإسلام بينهم، حتى تحين الفرصة المناسبة لجمع الأتباع في موطن واحد.

وحين أسلم أول نفر من الأنصار، كانوا من الخزرج، ولم يكن الإسلام قد فشا في المدينة، فلو حدثت الهجرة لما كان للحيين -الأوس والخزرج- عليه جماعة، ولربما واجه مصاعب جمّة في مهاجره⁽¹⁷⁸⁾.

ولذلك تربص الرسول صلى الله عليه وسلم حتى انتشر الإسلام في الأوس والخزرج، واطمأن إلى ملاءمة الأحوال، فهاجر.

وحين بايع صلى الله عليه وسلم أصحاب العقبة الثانية، حدث ما يرويه عبد الله بن كعب: عن كعب بن مالك في قصة البيعة قال:

فقال العباس بن عباد بن نضلة -أخو بني سالم-: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن غدًا على أهل منى بأسيا فنا!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنا لم نؤمر بذلك، ارفضوا⁽¹⁷⁹⁾ إلى رحالكم"⁽¹⁸⁰⁾.

فالجهد قبل تأمين قاعدة يفيد إليها
الإسلام، وبهاجر إليها المسلمون لا يكون؛ ولذلك
وصف الله المؤمنين بقوله: **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا
أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)** (181)

**(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ
هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ)** (182)

**(وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا
وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ)** (183)

**(الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ
دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ)**
(184)

فالجهد الذي يقصد من ورائه توسيع رقعة
الإسلام، ونشر الدعوة والدين، لا يكون إلا بعد
قيام الدولة المسلمة.

أما الدفاع عن النفس، والعرض، والمال،
والوطن، فهو مشروع في حال الاستطاعة، في
كل وقت.

وحين هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم تدرج في موضوع الجهاد، فبدأ بالمناوشات التي يقصد من ورائها ردع القبائل المجاورة عن الهجوم على المدينة، ثم اعترض غير قريش، فحصلت معركة بدر على غير ميعاد، ثم كانت أحد، والأحزاب التي عُزي فيها المسلمون وتعرضوا للبلاء الشديد، وخلال ذلك كان وادع اليهود ليتفرغ لغيرهم، ويأمن شرهم -إلى حين-.

ثم بدأ بعد الأحزاب في مرحلة الهجوم على الأعداء، حيث هاجم بني قريظة، ثم غزا بني المصطلق، ثم خرج إلى الحديبية، ثم خيبر، ثم مؤتة، ثم الفتح الأعظم وهكذا...⁽¹⁸⁵⁾.

وهذا ما لم يفعله صلى الله عليه وسلم في بداية العهد المدني.

أما بالنسبة لعنصر المكان فأول ما يلحظ: اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم للحبشة مكانًا لهجرة أصحابه، حيث يوجد فيها ملك عادل، لا يظلم عنده أحد، وقد أثبتت الأحداث دقة هذا الاختيار، حيث عاش المسلمون في خير دار، عند خير جار، وأمنوا على دينهم ولم يلقوا منه ظلمًا⁽¹⁸⁶⁾.

بل أكثر من ذلك أن النجاشي -نفسه- أسلم، وتابع النبي صلى الله عليه وسلم⁽¹⁸⁷⁾.

وحين نلحظ اتجاه السرايا والبعوث الأولى نجدها كانت موجهة إلى قريش -بالمذات- غالبًا، وكانت مهماتها سريعة، تتمثل في الهجوم على بعض ركبان المشركين، وبث الرعب في نفوس المتربصين.

إن معرفة المسلم الداعي للأرض التي يتحرك عليها، والظروف التي يعيش فيها، أمر في غاية الأهمية، فالمناسب في زمان، أو مكان، قد لا يناسب في مكان، أو زمان آخرين.

والمرء في حال الاستضعاف، غيره في حال القوة، وهو في حالة التشتت والتفرق، غيره في حال الدولة وجمع الكلمة، ومن الخطأ أن تكون الدعوة إلى الله انفعالات وعواطف، وردود فعل يستجيب لها الإنسان دون وعي، ثم يعجب ألا ينصره الله!

وسائل دفع الغربة:

لقد سلك الرسول صلى الله عليه وسلم ثم أصحابه معه في دفع الغربة عن الإسلام ووسائل شتى؛ بل لم يتركوا وسيلة مشروعة ممكنة إلا حاولوها، ولكن يمكن تحديد أهم الوسائل فيما يلي:

1- تكوين الجماعة المسلمة:

فقد جاء الإسلام إلى بيئة تعتبر الانتماء للقبيلة هو كل شيء، وتتفانى في حفظ هذا الانتماء والقيام بحقوقه، والتضحية في سبيله.

فلما بدأ الرسول دعوته، والتف حوله المؤمنون، بدأوا يدركون إدراكًا عميقًا بعد الفجوة القائمة بينهم وبين قومهم المشركين -من جهة-، ويشعرون بشدة القرب والتشاكل بينهم وبين سائر المؤمنين بالدعوة -من جهة أخرى-، وبدأوا يشعرون بعظيم مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره المبلغ عن الله، والمداعي الذي أنقذهم الله على يديه⁽¹⁸⁸⁾.

فتآلفت قلوب المؤمنين، وكانت متباعدة، وتباعدت قلوبهم مع أقوامهم المشركين، وحل الانتماء للدين، وللجماعة التي تحمله، وتدعو إليه، محل الروح من الجسد، فما بقي ينافسه في القلب انتماء لشيء، لا لقبيلة، ولا لبلد، ولا لغيرهما، وصار الانتماء القبلي، أو الفئوي -في حدوده الطبعية- ميدانًا للسباق في الخير، والتنافس في البلاء والجهاد والتضحية⁽¹⁸⁹⁾.

وقد تجمع هؤلاء المؤمنون من شتى القبائل حول القيادة المحمدية، وخلعوا من أعناقهم نير الطاعة لشيخ القبيلة، أو زعيمها.

وهذا الترابط الشديد بين المؤمنين: في قلوبهم، وفي أعمالهم، وفي أشخاصهم، جعلهم فئة واحدة مترابطة، وحقق لهم أهدافًا عديدة:

(أ) فهو ذو أثر كبير في دفع الشعور بالغرابة الفردية، وتحويله إلى شعور جماعي منتج مثمر، وفرق كبير بين فرد يحس بغيرته عمّن حوله، فيتجافى عن واقعه، ويضرب على نفسه سورًا من العزلة، وبين فئة مترابطة متكاتفه تشدّ عر بغيرتها وتميزها، وتعلم أن الله فضلها واختارها لتؤدي دورًا عظيمًا في التاريخ، فيدفعها ذلك إلى مزيد من التلاحم والبذل والعطاء، ويغرس فيها شعور العزة والاستعلاء.

وهذا هو الشعور الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعثه في أصحابه في مواقف عديدة.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بالعشاء، وذلك قبل أن يفشو الإسلام، فلم يخرج حتى قال عمر: نام النساء والصبيان، فخرج، فقال لأهل المسجد: **" ما ينتظرها أحد من أهل الأرض غيركم "**، وفي رواية: ولا يصلى يومئذ إلا بالمدينة، وكانوا يصلون العتمة فيما بين أن يغيب الشفق، إلى ثلث الليل الأول⁽¹⁹⁰⁾.

فهو صلى الله عليه وسلم يحيي في نفوس أصحابه تفردهم بهذه الفضيلة، وتميزهم بها عن غيرهم؛ ليزيد من رغبتهم في التنافس على الخير وإحساسهم بفضل الله عليهم.

(ب) وهذا الترابط والانتماء من أسباب تثبيت المؤمن على دينه، وتحريضه على الصبر عليه، وعلى ما يلقاه في سبيله، فالإنسان مهما يكن مؤمناً تصيبه الوحشة من قلة الموافقين، وبشعر بالاعتزاز بكثرتهم وقوتهم، وهذه فطرة جبّ

ية مركوزة، لا يكاد ينفك عنها الإنسان، وتزايد عدد المؤمنين- مع ما يولده من العزة- هو خطوة نحو تحقيق كيان مستقل لهم، وبناء دولة تحميهم؛ ولذلك قال عمر: ولله لو بلغنا ثلاث مئة لأخرجناكم منها- يعني مكة⁽¹⁹¹⁾.

(ج) وهو من أسباب التضحية والبذل والجهاد عند الصحابة، فإن شعور الإنسان بانتمائه إلى كيان واقعي يمثل العقيدة التي يؤمن بها، والمنهج الذي يسير عليه، يجعله يصب جميع طاقاته وقدراته في سبيل دعم هذا الكيان وتقويته وحمايته.

وإذا كان ارتباط الإنسان بهذا الكيان -أصلاً- إنما هو بدافع الإيمان، فليس يخل

بنية المرء، وإخلاصه، أن تزيد رغبته في الطاعة وحرصه عليها، بمجاورة أهل الخير وقربهم، وإنما شرع الاجتماع على الخير لهذا المعنى وما شابهه؛ ولذلك كان بعض المقبلين على الإسلام يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم: من معك على هذا الأمر؟⁽¹⁹²⁾.

(د) ومن خلال هذا التجمع تمكّن الرسول صلى الله عليه وسلم من تنسيق جهود الداعين، بحيث تتآلف وتتكامل، ولا تتناقض، وتمكن كذلك من توجيهها الوجهة السليمة التي تخدم ولا تهدم؛ ولذلك أبى الرسول صلى الله عليه وسلم على عباس بن عباد بن نضلة التسرع في قتال المشركين⁽¹⁹³⁾.

(هـ) وهو الصورة العملية التي يمكن أن تهين للداخلين في الدين جواً يعينهم على الترقى في درجات الإيمان، والتخلص من انحرافات البيئة المحيطة بهم، خاصة قبل قيام الدولة - كما في الفترة المكية.

2- بناء الدولة:

والدولة الإسلامية تقوم لثلاثة أهداف:
(أ) لرفع الفتنة ودفعتها عن المؤمنين الضعفاء
المضطهدين، بحيث يوجد قوة تحميهم
وتمنعهم.

(ب) لتحقيق الدينونة الكاملة لله، بتحكيم شرعه
المنزل، وإخضاع العالم كله لحكم الإسلام،
مع عدم الإكراه على الدين.

(ج) لنشر الدعوة الإسلامية، وبيان حقيقة
الإسلام للناس، باعتباره دينًا من الله -ربهم
أجمعين- يجب أن يبلغ إليهم، ليحيى من
ي

عن بينه، ويهلك من هلك عن بينة.

ومن الواضح أن النبي صلى الله عليه
وسلم كان يبحث خلال عرض نفسه على القبائل
عن قبيلة تؤويه وتحميه حتى يبلغ كلام الله، مع
أنه كان له أتباع كثير، وهذا يشير إلى أهمية
الاستفادة من إمكانيات القبيلة في نشر الدعوة،
كالأرض التي تنطلق منها، والعصبة التي تقوم
عليها.

ولقد كان ظفر الرسول صلى الله عليه
وسلم بقبيلتي الأوس والخزرج خطوة جبارة نحو
الهجرة، فقيام الدولة.

ولما هاجر صلى الله عليه وسلم واستقر هو وأصحابه بالمدينة، بدأت تتكامل أجهزة الدولة ومؤسساتها، وصار الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحاكم فيها، وبدأت تتلاشى القيادات الجاهلية، كزعامة عبد الله بن أبي بن سلول.

وقد قامت هذه الدولة على أرض الأوس والخزرج، وانضم إليها المهاجرون من كل مكان؛ بل صارت الهجرة إليها واجبة⁽¹⁹⁴⁾.

وقد قامت هذه الدولة بدفع الأذى والاضطهاد عن المؤمنين، حيث أوى إليها المؤمنون من كل مكان، وعاد إليها المغتربون في الحبشة، فانتهى عهد الاستضعاف - بالنسبة لجملة المؤمنين- وإن وجد حالات فردية خاصة تعرض فيها أفراد مؤمنون للاضطهاد.

كما حققت جانبًا عظيمًا من جوانب العبادة، وأقامت ركنًا من أركانها، وهو تحكيم شريعة الله في سائر أمور الحياة: الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، فحكمت الوحي السماوي في علاقتها بغيرها من الأمم، وفي علاقة بعض أفرادها ببعض، وفي بناء اقتصادها، وفي سائر أمورها.

وهذا جانب تعبدى عظيم، ناتج عن أفراد الله تعالى بالألوهية والربوبية.

وأدت هذه الدولة مهمتها في نشر الدعوة الإسلامية في الأرض، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يبعث أصحابه إلى القبائل لدعوتهم إلى الإسلام، وتعليمهم الأحكام، ويستقبل الأفراد، والجماعات المبعوثة من تلك القبائل فيؤويهم ويعلمهم، أو يعهد إلى بعض أصحابه بتفقيهم.

وكان يرسل الرسل أو يبعث الكتب إلى أنحاء الجزيرة، وإلى الملوك والأقيال والجبابة يدعواهم إلى الله تعالى، ويبلغهم ببعثته صلى الله عليه وسلم⁽¹⁹⁵⁾.

3- القيام بالجهاد:

والجهاد جزء من مهمة الدولة، إذ كان المؤمنون مأمورين بكف اليد، وإقام الصلاة، وهم في مكة⁽¹⁹⁶⁾.

فلما كانت الهجرة والدولة، أذن الله لهم في الجهاد، ثم أمرهم بقتال من قاتل، والكف عن اعتزل فلم يقاتل، ثم أمرهم بقتال المشركين كافة، حتى يكون الدين كله لله⁽¹⁹⁷⁾.

والجهاد أصل من أصول الدين، وليس مجرد دفاع عن النفس أمام هجمات الأعداء؛ بل هو دفاع عن النفس، وقيام بواجب نشر الدعوة، وإسقاط الدول الكافرة التي تعوق انتشار الإسلام، وإخضاعها لحكم الإسلام، عن طريق الدخول في الدين، أو دفع الجزية للمسلمين.

ولئن كانت البيئة العربية التي قام فيها الإسلام أول أمره بيئة تؤمن بالقوة، وتستجيب لها أكثر من استجابتها للحجة، كما قيل:

دعا المصطفى دهرًا بمكة لم يُجَبْ
وقد لان منه جانب

وخطاب

فلما دعا والسيف بالكف وصلت له
أسلموا، واستسلموا

وأنابوا

فإن جميع البيئات لا تخضع للحق المجرد من القوة، الأعزل من السلطان، وكل أمر يراد حمل الكافة عليه، في أي عصر، وفي أي بيئة، فلا بد له من قوة.

وليست القوة التي تكره الناس على الدخول في الدين؛ بل القوة التي تظهر للناس حقيقة الدين، وتزيل الضغوط التي تحول بينهم وبين الإيمان به، وتهيئ الجو لتقبل الحق، ثم تخلي بين الناس وبين أنفسهم: يؤمنون، أو لا يؤمنون⁽¹⁹⁸⁾.

ولهذا بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم عقب استقراره بالمدينة يرسل السرايا المسلحة تجوس خلال الصحراء المجاورة، وتخرق طريق القوافل المارة بين مكة والشام، وتستطلع أحوال القبائل الضاربة هنا وهناك⁽¹⁹⁹⁾.

وكانت المدينة مهددة بالهجوم عليها من قبل البدو الضاريين حول المدينة، أو من قبل قريش المهددة في اقتصادها؛ بل في مكانتها وكيانها، فكان المسلمون على استعداد دائم للدفاع عن أنفسهم.

حتى إذا كانت الأحزاب، وانصرفت جموع الكفار عاجزة عن تحقيق أي انتصار، انتقل المسلمون إلى الجهاد الهجومي، وتجاوزوا مرحلة الدفاع.

عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال:
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: حين
أجلى الأحزاب عنه: " **الآن نغزوهم، ولا
يغزوننا، نحن نسير إليهم**"⁽²⁰⁰⁾!

هكذا كان، فلم تطلق المدينة بعد هزيمة
الأحزاب أي هجوم، وصارت السرايا والبعوث،
والغزوات تنطلق منها إلى كل حدب، حتى فتحت
مكة.

وهذه الوسائل- وغيرها- تعتمد اعتمادًا كبيرًا
على الفرد المؤمن الجاد المضحى في سبيل
الله، فهو الذي يحمل الدعوة، ويتفانى في سبيلها
ويقاتل من أجلها، وليس كل المؤمنين بالإسلام
من المستعدين لهذه التضحية، ولا يلزم أن يكونوا
كذلك؛ بل إن القاعدة القليلة المستجمعة
للصفات المطلوبة- حسب طاقتها- هي التي
تحقق على يديها- بإذن الله- نصر الله لهذا الدين،
واندفعت عنه الغربية، حتى لم تكن فتنة وكان
الدين كله لله، وهي التي يمكن أن يتحقق على
يديها هذا الأمر في كل زمان ومكان.

* * *

خاتمة

وفي ختام هذه الجولة الممتعة مع سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وسنته نخلص إلى النتائج التالية:

- 1- الحديث الوارد في الغربية صحيح؛ بل متواتر عن أكثر من عشرين طريق.
- 2- معرفة أسباب غربة الإسلام الأولى.
- 3- معرفة المظاهر والصور التي تمثلت فيها هذه الغربة من الإيذاء والحصار والقلّة وغيرها.
- 4- وتبين كيف استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه أن يجاهدوا بهذا الدين (جهاد الدعوة بالقرآن، ثم جهاد السيف والسنان) حتى كتب الله لهم النصر والتمكين، وفتح لهم البلاد، فدانت الجزيرة للإسلام قبل موت النبي عليه الصلاة والسلام، وأكمل الله الدين، وأتم النعمة على المؤمنين، وبذلك زالت غربة الإسلام في بلاد العرب، وصار له وجوده القائم المتميز.

5- كما تم التعرف على الأسباب والعوامل
والوسائل التي أفاد منها المسلمون في
إعزاز الدين ودفع الغربة عنه وعن أهله.

وهي دروس للمسلم في كل زمان ومكان،
خاصة المسلم المتبع لرسول الله صلى الله
عليه وسلم، السائر على هديه، السالك منهج
أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين
والسلف المهتدين.

وسيمر في رسالة (صفات الغرباء وواجباتهم
في هذا العصر) حديث عن واجب أهل السنة
والجماعة في نشر الدعوة وحماية الدين.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هوامش الفصل الثالث

- 1 سورة الأحزاب: آية 21.
- 2 سورة المدثر: الآيتان 1، 2.
- 3 سورة المائدة: آية 3.
- 4 سبق تخريجه في الفصل الأول، أسباب الغربة الأولى.
- 5 رواه البخاري في: 1 - كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: (1/3).
- وفي: 60- كتاب الأنبياء، 23- باب: وقال رجل مؤمن من آل فرعون.. (4/124).
- وفي: 65- كتاب التفسير، 96 - سورة اقرأ، 1 - باب: (6/87). 2- قوله خلق الإنسان من علق (6/89). 3 - قوله اقرأ وربك الأكرم: (6/89). 4- باب الذي علم بالقلم: (6/89).
- وفي: 65- كتاب التفسير، 96- سورة اقرأ، 3- قوله اقرأ وربك الأكرم (تعليقًا): (6/89).
- وفي: 91-التعبير، 1- باب التعبير وأول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم: (8/67).
- ومسلم في: 1-كتاب الإيمان، 73- باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم (252، 253، 254)، (1/139-143).
- وروى الترمذي طرقًا منه في: 50- كتاب المناقب، 6- باب: رقم (3632)، (5/596).
- ورواه أبو عوانة في بيان صفة مبعث النبي صلى الله عليه وسلم: (1/110-112).
- والإمام أحمد في مسنده: (6/233، 232، 223).
- والطبري في التاريخ: الخبر عما كان من أمر النبي صلى الله عليه وسلم ...، (2/298).

وابن سعد في الطبقات: ذكر نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم: (1/194) مختصرًا.

وله شاهد عن ابن عباس رواه أحمد في المسند: (1/312).

سبق ذكر نماذج من ذلك في قصة ربيعة بن عباد الديلي، وطارق بن عبد الله المحاربي، وجابر بن عبد الله، وشيخ من بني مالك بن كنانة رأى النبي صلى الله عليه وسلم ... وذلك في الفصل الأول، المتعلق بأسباب الغربة.

في الفصل الثاني، المتعلق بمظاهر الغربة وصورها.

الحديث سبق تخريجه.

انظر: في الهجرتين وتفصيلهما، والقدمات الثلاث للمهاجرين: زاد المعاد لابن القيم: (3/23-29).

¹⁰ ورسالة الأخ الشيخ سليمان السعود في: أحاديث الهجرة (ماجستير مطبوع على الآلة) ص (8-56) وغيرهما.

(10) انظر: مصنف عبد الرزاق: (5/384)، طبقات ابن سعد: (1/204).

هجر هي الأحساء، انظر في تحديدها وأصل تسميتها: معجم البلدان: (5/393).

سبقت أكثر من مرة.

انظر الروايات في رسولي قريش في: حديث أم سلمة السابق، حديث ابن مسعود في: المسند: (1/461)، ودلائل النبوة للبيهقي في الهجرة الأولى إلى الحبشة: (2/298)، حديث أبي موسى في المستدرک في كتاب التفسير.. سورة النساء: (2/309) وغيرها.

انظر: سيرة ابن هشام: (1/375).

سبق تخريجه في الفصل الأول.

العقبة: المشهور أنها العقبة التي بوع عندها النبي صلى الله عليه وسلم وهي التي ترمى منها الجمرة، بين منى ومكة، ولكن أنكر ذلك الزرقاني، لبعدها عن الطائف. انظر: عمدة القاري (15/142)، شرح المواهب اللدنية للزرقاني (1/297).

قرن الثعالب: هو ميقات أهل نجد، ويقال له: قرن المنازل، وهو على مسيرة يوم وليلة من مكة.. انظر: الفتح: (6/315).

الحديث رواه البخاري في: 59- كتاب بدء الخلق، 7- باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء: آمين.. (4/81).

وفي: 97- كتاب التوحيد، 9- باب: وكان الله سميعًا بصيرًا: (8/168) مختصرًا.

ومسلم في: 32- كتاب الجهاد والسير، 39- باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين، رقم (111): (3/1420).

والنسائي في سننه الكبرى: 44- كتاب النعوت، 31- السميع (ل: 101 أ).

وأبو عوانة في: كتاب الجهاد، بيان الشدة التي أصابت النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة: (4/334، 336، 337).

واسم ابن عبد كلال: كنانة، والذي في المغازي أن الذي كلم النبي صلى الله عليه وسلم هو عبد ياليل نفسه، وعند أهل النسب أن عبد كلال أخوه لا أبوه، وأنه عبد ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف. وكان من أكابر أهل الطائف من ثقيف. انظر: الفتح (6/315).

وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن خالد بن أبي جبل العدواني رضي الله عنه أنه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصا حين أتاهم يبتغي عندهم النصر، قال: فسمعتة يقرأ: والسماء والطارق حتى ختمها، قال: فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام. قال: فدعتني ثقيف، فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم،

فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقول
حقاً لتبعناه: (4/335).

ونسبه ابن حجر في الإصابة لأحمد ولابن أبي شيبة وابن خزيمة في
صحيحه والطبراني وابن شاهين من طريق عبد الله بن عبد الرحمن
الطائفي عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جبل العدواني عن أبيه.

وعبد الله بن عبد الرحمن: صدوق يخطئ ويهم. انظر: التقريب: (1/429)
والتهذيب: (5/298).

أما عبد الرحمن بن خالد فقال الحسيني: مجهول، وقال ابن حجر:
صحَّح ابن خزيمة حديثه، ومقتضاه أن يكون عنده من الثقات. تعجيل
المنفعة: ص (248). وانظر: الإصابة، ترجمة رقم (1428) - (3/52).

السيرة النبوية: لابن كثير (2/153).

19

رواه أبو داود في: 34 - كتاب السنة، 22 - باب في القرآن، رقم (4734)،
(5/103).

20

والترمذي في: 46- كتاب فضائل القرآن، 24- باب: رقم (2925)،
(5/184). وقال: هذا حديث غريب صحيح، وفي نسخة التحفة:
حسن صحيح (2/175).

والنسائي في سننه الكبرى: 44- كتاب النعوت، 46- كلمات الله
سبحانه وتعالى: (ل 101 أ).

وابن ماجه: المقدمة، 13- باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (201) (1/73).

والدارمي في: 23- ومن كتاب فضائل القرآن، 5- باب القرآن كلام
الله، رقم (3355)، (2/317).

والإمام أحمد في مسنده: (3/390).

كلهم من طريق إسرائيل، حدثنا عثمان بن المغيرة، عن سالم، عن جابر.

وإسرائيل هو ابن يونس بن أبي إسحاق السبيعي: ثقة. انظر: التهذيب (1/261)، التقريب: (1/64).

وعثمان هو ابن أبي زرعة الثقفي: ثقة. انظر: التهذيب: (7/155) والتقريب: (2/14).

وسالم بن أبي الجعد: ثقة، ومضى.

فالحديث - بهذا الاسناد - صحيح.

المسند: (3/390)، قال: حدثنا أسود بن عامر، أخبرنا إسرائيل فذكره.

21

وأسود بن عامر: ثقة. انظر: التهذيب: (1/340)، التقريب (1/76). وقد سبق الحديث من طريق أخرى عن جابر - بنحوه - وسيأتي قريباً بسياق طويل في خبر البيعة.

سبق أول الحديث المتعلق بخروج أبي بكر من مكة ولقي ابن الدَّغْنَةَ له، وإجارته، وهذا القدر من الرواية موجود في: البخاري: (4/254)، (59-3/58).

22

والمصنف لعبد الرزاق: (5/385-386)، وهو مختصر في البخاري أيضاً: (1/122).

رواه البخاري في: 61 - كتاب المناقب، 11 - باب قصة زمزم: (4/158-159).

23

وفي: 63- فضائل الأنصار، 33- باب إسلام أبي ذر (4/241).

وفي: 97- كتاب التوحيد، 23- باب قول الله تعالى: تعرج الملائكة والروح إليه.. (8/177)، معلقاً مختصراً.

ورواه مسلم في: 44- كتاب فضائل الصحابة، 28- باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه رقم (133): (4/1923).

وأبو نعيم في الحلية، في ترجمة أبي ذر، رقمها (26): (1/158).
والطبراني في الكبير، رقم (12959): (12/226).
ووردت القصة عن أبي ذر نفسه رضي الله عنه في:
مسلم في: 44- كتاب فضائل الصحابة، 28- باب من فضائل أبي ذر
رضي الله عنه رقم (132): (4/1919).
وأحمد في المسند: (5/174).
وابن أبي شيبة في المصنف: كتاب المغازي، (2413) - إسلام أبي
ذر، رقم (17447)، (14/315).
وأبو نعيم في الدلائل، ذكر إسلام أبي ذر: ص (207).
وفي الحلية، في ترجمة أبي ذر، رقمها (26)، (1/157).
رواه البخاري في: 63- كتاب فضائل الأنصار، 35- باب إسلام عمر:
(4/242).
وفي: 62- فضائل الصحابة، 6- باب مناقب عمر: (4/199).
والإمام أحمد في فضائل الصحابة، إسلام عمر بن الخطاب، رقم (368): (1/277).
والطبراني في المعجم الكبير، برقم (8821، 8822، 8823)، (9/182).
وابن سعد في الطبقات، في ترجمة عمر: (3/270).
والحاكم في المستدرک، كتاب معرفة الصحابة، عمر بن الخطاب
رضي الله عنه، (3/84) وقال: هذا صحيح على شرط الشيخين ولم
يخرجاه، ووافقه الذهبي.
قائل هذا: عمر رضي الله عنه.
رواه البخاري في: 63 - كتاب فضائل الأنصار، 35 - باب إسلام عمر
(4/242). بلفظين هذا أحدهما.

27 من الظاهر أن هذه المقاتلة تعني المدافعة باليد ونحوها، وليس بالسيف.

28 رواه الحاكم في المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، عمر بن الخطاب رضي الله عنه (3/85)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

ورواه ابن إسحاق في السير والمغازي بسياق نحو سياق الحاكم، في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ص 184-185) قال: حدثني نافع عن ابن عمر..

وإسناده (أعني إسناد ابن إسحاق) حسن لتصريحه بالتحديث، ونافع ثقة ومضى، وإن كان في إسناد الحاكم قد عنعن، وأدخل عند الحاكم بينه وبين نافع واسطة وهو عبيد الله بن عبد الله بن عمر وهو ثقة إمام وأحد الفقهاء السبعة. انظر: التهذيب: (7/38)، التقريب (1/537).

وقال ابن كثير عن إسناد ابن إسحاق: وهذا إسناد جيد قوي. السيرة: (2/39).

وقال الحاكم عن إسناده: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

29 سبق تخريجها قبل قليل.

30 انظر: سيرة ابن هشام: (1/311-312).

31 رواه الحاكم في مستدرکه، کتاب معرفة الصحابة، ذكر الأرقم بن أبي الأرقم (3/504). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

وإسناد الحديث محتمل للتحسين: فيه أسد بن موسى وثقه النسائي وابن قانع والبخاري وابن حبان وغيرهم، وقال ابن حزم: منكر الحديث وقال ابن حجر: صدوق يغرب، وقال الذهبي: ما علمت به بأسًا

تهذيب التهذيب: (1/260)، التقريب: (1/63)، الميزان: (1/207).
32 وفيه عطايف بن خالد المخزومي قال أحمد: صحيح الحديث، وقال:
ليس به بأس، وقال ابن معين: ليس به بأس ثقة صالح الحديث،
وتكلم فيه مالك، وقال ابن حجر: صدوق يهمل. التهذيب (7/221)،
والتقريب: (2/24).

وفيه عثمان بن عبد الله بن الأرقم، ترجم له البخاري في التاريخ ولم
يذكر جرماً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات، وخلط ابن حجر
في التعجيل بينه وبين عثمان بن الأرقم بن أبي الأرقم، وصنع
البخاري وابن حبان وغيرهما يقتضي أنهما اثنان، والله تعالى أعلم.
انظر: التاريخ الكبير: (21496)، رقم الترجمة (2201)، (6/232)،
رقم الترجمة (2259).

والثقات لابن حبان: (7/198)، (5/157)، وتعجيل المنفعة: ص (282)
ترجمة رقم (721)، وذكر بعضهم أن له ترجمة في الميزان
ولم أقف عليها.

(32) انظر: رأي ابن كثير في: السيرة له: (2/33).

33 تقدمت في الفصل الثاني، المتعلق بمظاهر الغربة الأولى.

34 وانظر: رواية الزهري التي تفيد أن دخول بني هاشم وبني عبد
المطلب كان باختيارهم لحماية الرسول صلى الله عليه وسلم:
سيرة ابن كثير: (2/43).

35 وقريب منه رأي الإمام الخطابي، كما في كتاب العزلة له ص (8).

(35) سبق تخريج حديث أبي ذر قبل صفحات، أما حديث عمرو فسبق
في الفصل الثاني.

36 رواه البخاري في: 63- مناقب الأنصار، 1- باب مناقب الأنصار (4/2)
(21).

27 - باب القسامة في الجاهلية: (4/237).

46 - باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة (4/265).

انظر: فتح الباري: (7/220)، والسيرة النبوية لابن كثير: (2/176).

سورة البقرة: رقم الآية 89.

تفسير الطبري: (1/410)، وانظر: الدر المنثور: (1/215).

انظر: السيرة النبوية لابن هشام: (2/70-73)، والسيرة النبوية لابن كثير: (2/177-178)، وفي المصادر تحديد أسماء هؤلاء الستة.

انظر: السيرة لابن هشام: (2/70)، وبعضهم يسميها العقبة الأولى، وعلى هذا تكون العقبات ثلاثًا. انظر: الدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر: ص (38)، وعيون الأثر لابن سيد الناس: (1/155).

أي أصبنا وارتكبنا.

رواه البخاري: 2- كتاب الإيمان، 11- باب: (1/10).

وفي: 63- مناقب الأنصار، 43- باب وفود الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وبيعة العقبة: (4/252).

وفي: 64- كتاب المغازي، 12- باب: (5/14).

وفي: 65 - كتاب التفسير، 6 - سورة الممتحنة، 3 - باب إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك: (6/60).

وفي: 86- كتاب الحدود، 8- باب الحدود كفارة: (8/15).

وفي: 93- كتاب الأحكام، 49- باب بيعة النساء: (8/125).

وفي: 97- كتاب التوحيد، 31- باب في المشيئة والإرادة: (8/191).

وفي: 87- كتاب الديات، 2- باب قول الله تعالى: ومن أحيها (8/35).

ومسلم في: 29- كتاب الحدود، 10- باب الحدود كفارات لأهلها رقم (41، 42، 43، 44)، (3/1333)، واللفظ له.

والترمذي في: 15- كتاب الحدود، 12- باب ما جاء أن الحدود كفارة لأهلها، رقم (1439)، (4/45).

وقال: حديث عبادة بن الصامت حديث حسن صحيح.

والنسائي في: 39- كتاب البيعة، 9- باب البيعة على الجهاد (142-7/141)، 17- البيعة على فراق المشرك: (7/148)، 38- ثواب من وفى بما بايع عليه: (7/161).

وفيه: 47- كتاب الإيمان وشرائعه، 14- البيعة على الإسلام (8/108).

وفي سننه الكبرى: 40- كتاب الرجم، 31- الترغيب في ستر العورة (ل:95ب).

وروى طرفاً منه: ابن ماجه في: 20- كتاب الحدود، 33- باب الحد كفارة، رقم (2603)، (2/868).

والدارمي في: 17- ومن كتاب السير، 17- باب في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم (2457)، (2/139).

وأحمد في المسند: (5/313، 314، 320، 321، 323).

وابن إسحاق، كما في سيرة ابن هشام، في العقبة الأولى، (2/75).

وابن سعد في ذكر العقبة الأولى: (1/220).

والطبري في التاريخ: (2/356).

والبيهقي في الدلائل، باب ذكر العقبة الأولى (2/436، 437).

ونسبه السيوطي في الدر المنثور إلى عبد بن حميد وابن مردويه.. وابن المنذر. تفسير سورة الممتحنة: (8/139).

انظر: فتح الباري: (7/222)، والسيرة النبوية لابن كثير (2/179)، حيث قال: "...يعني على وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك، عام الحديبية، وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه، ليلة العقبة، وليس هذا عجيبًا، فإن القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب في غير ما موطن.. وإن كانت هذه البيعة وقعت عن وحي غير متلو فهو أظهر".

سيرة ابن هشام: (2/75)، وتاريخ الطبري: (2/356)، قال ابن إسحاق،: حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن مرثد بن عبد الله اليزني، عن عبد الرحمن بن عسيلة الصناحي، عن عبادة.

ويزيد: ثقة، انظر: التهذيب (11/318)، والتقريب (2/363).

ومرثد: ثقة، انظر: التهذيب (10/82)، والتقريب (2/236).

وعبد الرحمن بن عسيلة: ثقة، انظر: التهذيب (6/229)، والتقريب (1/491). فالإسناد حسن.

انظر: السيرة لابن هشام: (2/76)، والسيرة لابن كثير: (2/180)، وأضاف بعضهم عبد الله بن أم مكتوم، انظر الدرر: ص (39)، وعيون الأثر: (1/158).

ويشهد لمقدمهما جميعًا قول البراء: أول من قدم علينا مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم فجعلنا يقرآننا القرآن.

رواه البخاري في: 63- مناقب الأنصار، 46- باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة (4/263).

وفي: 65- كتاب التفسير، 87- سورة سبح اسم ربك الأعلى (6/82).

وعزاه المزي للنسائي. التحفة: (2/55)

انظر: ابن هشام (2/77-80)، وعيون الأثر: (1/158-161).

رواه البخاري في: 92- كتاب الفتن، 2- باب قوله صلى الله عليه وسلم: سترون بعدي أمورًا تنكرونها: (8/88)، وهذا لفظه.

وفي: 93- كتاب الأحكام، 43- باب كيف يبايع الإمام الناس: (8/122).

ومسلم في: 33- كتاب الإجارة، 8- باب وجوب طاعة الأمر في غير معصية... رقم (41،42)، (3/1470).

والنسائي: في 39- كتاب البيعة، 1- باب البيعة على السمع والطاعة: (7/137، 138).

2- باب البيعة على ألا تنازع الأمر أهله: (7/138).

3- باب البيعة على القول بالحق: (7/139).

4- باب البيعة على القول بالعدل: (7/139).

5- باب البيعة على الأثرة: (7/139).

وفي الكبرى: 50- كتاب السير، 79- البيعة: (ل 116أ).

وابن ماجه في: 24- كتاب الجهاد، 41- باب البيعة، رقم (2866)- (2/957).

والإمام أحمد في المسند: (5/316، 318، 319، 325).

وأبو عوانة في مسنده، كتاب الأمراء، باب حظر منازعة الإمام (4/454، 455، 456)، ثم باب الخبر الدال على إباحة منازعة الإمام إذا ظهر منه الكفر: (4/456).

وابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام، في: شروط البيعة في العقبة الأخيرة: (2/97).

وخرج طرقًا منه: الحاكم في المستدرک، كتاب معرفة الصحابة، في مناقب عبادة ابن الصامت: (3/356).

و الزيادة: (وأن نقول..) عند جمع المخرجين.

في رواية المسند: (5/325) وغيرها.

سيرة ابن هشام: شروط البيعة في العقبة الأخيرة: (2/97)، وقد رواه ابن إسحاق من طريق عبادة بن الوليد بن عبادة، عن أبيه عن جده ومن طريقه رواه الإمام أحمد: (5/316).

وعبادة: ثقة، انظر: التهذيب (5/114)، والتقريب (1/396).

والوليد: ثقة أيضًا، انظر: التهذيب (11/137)، والتقريب (2/333).

وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، فالإسناد حسن.

مَجَنَّة: بفتح الميم والجيم وتشديد النون - اسم سوق للعرب في الجاهلية بمر الظهران بأسفل مكة على قدر بريد منها. انظر: معجم البلدان: (5/58).

عُكَازَا: بضم العين وتخفيف الكاف، وهو اسم سوق لهم أيضًا وهو نخل بينه وبين الطائف ليلة، وبينه وبين مكة ثلاث ليال. انظر: معجم البلدان: (4/142).

العض: إمساك الشيء بالأسنان، ويقصد به هنا: الحرب والشدة.

انظر: القاموس المحيط: (2/349)، الفائق في غريب الحديث للزمخشري: (2/443-444).

رواه الإمام أحمد في المسند: (3/322)، وفيه: تخافون من أنفسكم جُبِينَة، وكذلك: (3/339-340). وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح. المجمع: (6/46).

والبزار - كما في كشف الأستار - كتاب الهجرة والمغازي، باب البيعة على الحرب رقم (1756) (2/307).

وابن حبان كما في الموارد 27 - كتاب المغازي، 2 - باب البيعة على الحرب، رقم (1686) ص (408).

و الحاكم في المستدرک: كتاب التاريخ: (2/624).

50

51

52

53

54

وقال: هذا حديث صحيح الإسناد جامع لبيعة العقبة ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

والبيهقي في الدلائل، باب ذكر العقبة الثانية (2/442).

وفي السنن، كتاب السير، باب الإذن بالهجرة (9/9).

من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن خثيم، عن أبي الزبير، عن جابر.

وسبق الكلام على هذه الطريق:

وقال ابن كثير: وهذا إسناد جيد، على شرط مسلم، ولم يخرجوه. السيرة النبوية: (2/196).

وله شاهد عند ابن سعد في ترجمة أسعد بن زرارة: (3/609)، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، وهو مرسل ضعيف، فيه علي بن زيد بن جُدعان، ضعفه أحمد وابن معين وأبو حاتم وغيره، وقال يعقوب بن شيبة: ثقة صالح الحديث وإلى اللين ما هو، وقال الترمذي: صدوق.

وقال الذهبي: أحد الحفاظ وليس بالثابت، وقال ابن حجر: "ضعيف". الجرح والتعديل: (9/186)، السير: (5/206)، التهذيب: (7/322)، التقريب: (2/37).

ولجميع فقرات الحديث شواهد أخرى سبق بعضها، في الفصل الأول المتعلق بأسباب الغربة، وفي الفصل الثاني المتعلق بمظاهر الغربة.

قال ابن هشام: ويقال: الهدم الهدم، يعني الحرمة، أي: ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم. السيرة: (2/85).

رواه ابن إسحاق، كما في السيرة لابن هشام: أمر العقبة الثانية (85-2/81)، قال: حدثني معبد بن كعب بن مالك، أن أخاه عبد الله ابن كعب - وكان من أعلم الأنصار - حدثه، أن أباه كعبًا حدثه وكان

كعب ممن شهد العقبة، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها.
ومن طريقه الإمام أحمد في المسند: (3/460).

وفي فضائل الصحابة: فضائل العباس: (2/923) مختصرًا.
والطبري في التاريخ: (2/357-363).

وابن حبان في: مناقب الصحابة، ذكر المبراء بن معرور، برقم (6972)، (9/74).

والبيهقي في الدلائل: باب ذكر العقبة الثانية: (2/442).

ومعبد بن كعب: وثقه العجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، وروى عنه جمع، وأخرج له الشيخان.

⁵⁷انظر: ثقات العجلي: ص (433)، الثقات لابن حبان: (5/432)، والجرح والتعديل: (8/279)، والتهذيب: (10/224).

وعبد الله بن كعب: ثقة. انظر: التهذيب (5/369)، التقريب: (1/442). فهذا الإسناد حسن.

وقد قال ابن حجر في ترجمة أم منيع (واسمها أسماء بنت عمرو)، وهي أم معاذ بن جبل، قال: "ذكر ابن إسحاق بسند صحيح، عن كعب بن مالك، أنها كانت مع من شهد العقبة، مع السبعين، هي ونسيبة بنت كعب". الإصابة: (12/116).

وقال الهيثمي: "رواه أحمد، والطبراني بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح، غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع" .. المجمع (6/45).

(57) السيرة لابن هشام: (2/97).

انظر: الدر المنثور: (6/57). 58

سورة الحج: رقم الآيتين 39-40. 59

سورة الأنفال: الآية 72. 60

سورة الأنفال: الآية 74. 61

62 سورة الأنفال: الآية 75.

63 انظر: سيرة ابن هشام: (2/123،129)، والسيرة النبوية لابن كثير (2/227،290).

64 انظر: حديث عائشة في الهجرة، السابق في الفصل الأول: أسباب الغربة الأولى، حيث ذكر طرفه المتعلق بخروج أبي بكر للهجرة إلى الحبشة، وجوار ابن الدغنة.

65 الحَزُورَة: بفتح الحاء المهملة وسكون المزاي المعجمة وفتح الواو، قال الدارقطني: كذا صوابه، والمحدثون يفتحون الزاي ويشددون الواو وهو تصحيف، سوق بمكة، وقد دخلت في المسجد -لما زيد فيه- قاله ياقوت، وقال بعض المعاصرين: وهي ما يعرف اليوم باسم القشاشية، مرتفع يقابل المسعى من مطلع الشمس، والله أعلم.

انظر: معجم البلدان: (2/255)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية لعاتق البلادي: ص(98).

66 الحديث رواه الترمذي في: 50 - كتاب المناقب، 69- باب في فضل مكة، رقم (3925)، (5/722)، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.

ورواه النسائي في سننه الكبرى، 8 - كتاب المناسك، 306 - فضل مكة (ل 55أ).

وابن ماجه في: 25 - كتاب المناسك، 103 - باب فضل مكة، رقم (3108) (2/1037).

والدارمي في: 17 - كتاب السير، 67 - باب إخراج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة، رقم (2513)، (2/156).

وأحمد في المسند: (4/305).

والحافظ عبد بن حميد كما في المنتخب من مسنده، برقم (490)، ص (439) وفي سند المطبوع عدة أخطاء.

وهو من حديث صحيح من رواية الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف عن عبد الله بن عدي.

وأشار إليه الترمذي من رواية محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة وقال: وحديث الزهري عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدي بن حمراء عندي أصح، (5/723)، وذلك لأن محمد بن عمرو صدوق له أوهام كما قال ابن حجر في التقريب: (2/196)، فالزهري أوثق منه وأحفظ.

ولكن يعكر على هذا أن الزهري نفسه رواه عن أبي سلمة عن أبي هريرة كما في المسند: (4/305)، والسنن الكبرى (ل 55أ)، كما رواه نفسه عن أبي سلمة عن بعضهم في المسند أيضًا: (4/305).

قال ابن حجر بعد ذكر الاختلاف في الحديث على الزهري: "...والمحفوظ الأول". الإصابة (6/163).

يعني: رواية الزهري عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدي بن الحمراء.

وقال المباركفوري: "...الظاهر أن كلا الحديثين صحيحان، وليس أحدهما أصح من الآخر". تحفة الأحوزي: (10/427).

وكون الحديثين بمنزلة واحدة من الصحابة فيه نظر؛ لأن الحديث الأول وهو حديث الزهري عن أبي سلمة يترجح بعدة أمور:

1- تعدد رواته عن الزهري من الثقات الأثبات في مقابل راوٍ واحد له عنه عن أبي سلمة عن أبي هريرة وهو معمر بن راشد وهو ثقة ثبت كذلك.

2- تصريح الزهري بالتحديث في الرواية الأولى، أما في الرواية الثانية فقد عنعن.

3- أن الرواية الثانية فيها اختلاف، فمرة قال معمر: عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، ومرة أرسله، ومرة عن الزهري عن أبي سلمة عن بعضهم.

أما حديث معمر عن أبي سلمة عن أبي هريرة، فقد ورد من طريق أخرى عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وهذا يرجح صحة الحديث عن كلا الصحابييين: أبي هريرة، وعبد الله بن عدي ابن الحمراء. والله أعلم.

وللحديث شاهد عن ابن عباس بمثله.

رواه الترمذي في الموضوع السابق وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وفي التحفة: حسن صحيح غريب.. حديث رقم (5539)، (4/421).

وله شاهد مرسل من حديث أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، ضمن قصة فتح مكة الطويلة.

ورواه ابن أبي شيبة في كتاب المغازي، (2435) حديث فتح مكة، رقم (18746)، (14/476).

الإذخر والجليل نبتان من نبات مكة، ومجنة سبق التعريف بها، وشامة وطفيل جبلان بقرب مكة، وقال الخطابي: كنت أحسب أنهما جبلان حتى ثبت عندي أنهما عينان. انظر الفتح: (7/263).

بطحان في ضبطه أوجه: بضم الباء وسكون الطاء عند المحدثين، وبفتح الباء وكسر الطاء عند كثير من أهل اللغة، وضبط بفتح الباء وسكون الطاء، هو أحد أودية المدينة الثلاثة: العقيق وبتحان وقناة.

انظر: معجم البلدان: (2/446).

الآجن: هو المتغير، انظر: النهاية (1/26).

رواه البخاري في: 30- كتاب فضائل المدينة، 12- باب: (2/224) بهذا اللفظ.

وفي: 63- مناقب الأنصار، 46 - باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة: (4/263).

وفي: 75 - كتاب المرضى، 8 - باب عيادة النساء الرجال (7/5).

22 - باب من دعا برفع الوباء والحمى: (7/11).

وفي: 80 - كتاب الدعوات، 43 - باب الدعاء برفع الوباء والوجع (7/160).

ومسلم في: 15- كتاب الحج، 86 - باب المترغيب في سكنى المدينة، رقم (480) (2/1003).

وأحمد في المسند: (6/56، 65، 221-222، 239، 260) وفي هذه الرواية وحدها - في المسند - ذكر اللعن.

وابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام، ذكر من اعتلَّ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (2/238).

كما في حديث الغربية المخرج في أول هذه الرسالة.

انظر: سيرة ابن هشام (2/140-143، 147، 150، 153-150)، والسيرة لابن كثير: (2/302-310، 319-329)، وعيون الأثر (1/195-202)، وانظر: دراسة في السيرة، لعماد الدين خليل ص (147-158).

فتح الباري: (7/271).

فتح الباري: (7/271).

كما في صحيح البخاري: 64 - كتاب المغازي، 43 - باب عمرة القضاء، (5/85).

وفي: 53 - كتاب الصلح، 6 - باب: كيف يكتب: (3/168).

في المستدرک: كتاب معرفة الصحابة (3/314)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر: بسند حسن،

71

72

73

74

75

76

وزاد نسبه لابن عبد البر، والضياء في المختارة. فتح الباري (7/271).

77 انظر: المستدرک: کتاب الهجرة (3/14)، وسکت عنه هو والذهبي، ويشهد لمعناه ما سبق، وانظر: الفتح (7/271)، وقد أنکر ابن تیمیة، وابن القيم، وابن كثير المؤاخاة قبل الهجرة. انظر: منهاج السنة: (4/96)، وزاد المعاد: (2/79)، والسيرة لابن كثير (2/326).

78 انظر ما سيأتي قريباً في موضوع المواجهة مع اليهود.

79 سورة الحج: رقم الآيات 39-41.

80 الأبواء: قرية بينها وبين الجحفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً. انظر: الفتح (7/279).

81 بواط: بفتح الباء وقد تضم وتخفيف الواو - جبل من جبال جهينة بقرب ينبع. الفتح (7/280).

82 العُشيرة أو العُسيرة: بضم العين وفتح السين وتخفيف الياء، مكانها عند منزل الحج بينع، ليس بينها وبين البلد إلا الطريق. انظر: الفتح (7/279)، معجم البلدان: (4/127).

83 أفردت لفتح مكة فقرة خاصة لأهميته.

84 انظر: دراسة في السيرة لعماد الدين خليل ص (175-176).

85 انظر: سيرة ابن هشام (2/90)، وتاريخ الطبري: (2/365).

86 كما في حديث ابن عباس، عن عمر رضي الله عنهما وسبق تخريجه في آخر الفصل الثاني المتعلق بمظاهر الغربية.

87 انظر: السيرة لابن كثير: (2/463-464).

88 كما في حديث أبي طلحة رضي الله عنه وسبق في الفصل الثاني المتعلق بمظاهر الغربية، وانظر: سيرة ابن هشام (2/276-292)، مرويات غزوة بدر للعليمي: ص (222-233) وغيرها.

89 كذا في المسند المطبوع، وفي السيرة لابن كثير: (2/433):
فسبقنا المشركين، ولعله أولى.

90 الطش: هو المطر القليل. انظر: النهاية (3/124).

91 الحجف: جمع حجة، وهو الترس. انظر: النهاية (1/345).

92 كذا في المسند المطبوع، وفي السيرة لابن كثير: (2/423):
مشبهة، وهو الأقرب إذ في رواية أبي داود: فانتدب له شباب من
الأنصار، ثم إن العادة أن يخرج من الأنصار بعدد القرشيين (أي: ثلاثة
فقط).

93 رواه الإمام أحمد: (1/117) من طريق حجاج، حدثنا إسرائيل، عن
أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرب، عن علي.

وأبو داود في: 9 - كتاب الجهاد، 119 - باب في المبارزة، برقم (2665)،
(3/119) من طريق إسرائيل، مقتصرًا على خبر المبارزة.

وحجاج هو ابن محمد المصيبي الأعور: ثقة ثبت، لكن حصل له
اختلاط في آخر عمره، حين قدم بغداد قبل موته. انظر: التهذيب (2/205)،
والتقريب (1/154).

وإسرائيل هو ابن يونس بن أبي إسحاق السبيعي: ثقة، ومضى.

وأبو إسحاق هو عمرو بن عبد الله السبيعي: مكث ثقة عابد، إلا أنه
شاخ ونسي، وهو مدلس ومضى.

وحارث بن مضرب: ثقة. انظر: التهذيب (2/166)، والتقريب (1/145).

فالإسناد ضعيف، وله شواهد كثيرة يرتقي بها سبق بعضها.

قال ابن كثير: "هذا سياق حسن، وفيه شواهد لما تقدم، ولما
سيأتي" السيرة (2/424).

سورة آل عمران: رقم الآية 123. 94

انظر في تفصيلات غزوة بدر: سيرة ابن هشام (2/257-374)، (3/3-45).

وكتاب: مرويات غزوة بدر لأحمد محمد العليمي، وفقه السيرة للغزالي ص (232-257)، وغيرها من كتب السير.

نقلًا عن: شرح ثلاثيات المسند للشيخ محمد السفاريني: (1/278).

سورة الفتح: رقم الآية 1.

رواه البخاري عن أنس في: 64- كتاب المغازي، 35- باب غزوة الحديبية، (5/66).

وفي: 65 - كتاب التفسير، 48 - سورة الفتح، 1- باب إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا: (6/44).

والنسائي في الكبرى، في التفسير، أفاده المزي في التحفة، حديث (1270): (1/331).

والبيهقي في السنن، كتاب الجزية، باب نزول سورة الفتح على النبي صلى الله عليه وسلم (9/222).

وفي دلائل النبوة، جماع أبواب عمرة الحديبية، باب نزول سورة الفتح (4/157).

جاء هذا عن جابر رضي الله عنه:

رواه البخاري في: 61- كتاب المناقب، 25- باب علامات النبوة في الإسلام: (4/170).

وفي: 64 - كتاب المغازي، 35 - باب غزوة الحديبية (5/63).

وفي: 74 - كتاب الأشربة، 31 - باب شرب البركة والماء المبارك (6/252).

ومسلم في: 33 - كتاب الإمارة، 18 - باب استحباب مبايعة الإمام الجيش، رقم (72،73)، (3/1484).

والنسائي: 1- كتاب الطهارة، 61 - الوضوء من الإناء: (1/61).

وفي الكبرى، أفاده المزي في التحفة، حديث (2242)، (1/175).

وأحمد في المسند: (3/329,365).

والبيهقي في الدلائل، جماع أبواب غزوة الحديبية، باب ما ظهر من الحديبية، بخروج الماء من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم (4/115-116).

وأبو نعيم في الدلائل، الفصل الخامس والعشرون، في فوران الماء من بين أصابعه.. ص (446).

وابن سعد في غزوة الرسول صلى الله عليه وسلم الحديبية (2/98).

كما في حديث المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم:

100

وقد رواه البخاري في: 54- كتاب الشروط، 15- باب الشروط في الجهاد: (3/178-184).

والإمام أحمد في المسند: (4/323-326)، وفيه زيادات. وفيه تفاصيل أحداث الحديبية.

كما في رواية الإمام أحمد لحديث المسور، ومروان، وانظر: سيرة ابن هشام (3/332).

101

كما في رواية الإمام أحمد أيضًا، وانظر: سيرة ابن هشام: (3/332).

102

سيرة ابن هشام: (3/336).

103

سيرة ابن هشام: (3/337)، وانظر في غزوة الحديبية عمومًا:

104

مرويات غزوة الحديبية للشيخ حافظ الحكمي، سيرة ابن هشام: (3/321-341)، فقه السيرة للغزالي (348-367).

كما في وثيقة المؤاخاة بين المؤمنين، والموادعة مع اليهود، وقد روى هذه الوثيقة ابن إسحاق بدون سند، كما في: سيرة ابن هشام هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم (2/147-150) ومن طريقه رواه جمع من المؤلفين.

وروى بعضه: البيهقي في السنن - كتاب المديات، باب العاقلة: (8/106)، من طريق ابن إسحاق: حدثني عثمان بن محمد بن عثمان بن الأحنس بن شريق قال: أخذت من آل عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا الكتاب... واقتصر فيه على الجزء المتعلق بالمؤاخاة، وإن كان فيه إشارة إلى المعاهدة، والإسناد منقطع، كما هو ظاهر. ورواه حميد بن زنجويه في كتاب الأموال: كتاب العهد التي كتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأهل الصلح، برقم (750)، (2/466).

وأبو عبيد في الأموال: كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين وأهل يثرب، برقم (518): ص (193-196).

كلاهما من طريق عبد الله بن صالح، عن الليث، عن عُقيل بن خالد، عن ابن شهاب، أنه قال: بلغني فذكره.

وعبد الله بن صالح: صدوق كثير الغلط، ومضى.

لكن تابعه يحيى بن عبد الله بن بكير - عند أبي عبيد - ويحيى ثقة في الليث. انظر: التهذيب (11/237)، التقريب (1/351).

والليث، وعقيل - بضم العين - ثقتان، ومضيا.

والإسناد ضعيف لإرسال الزهري.

ورواه ابن أبي خيثمة، كما في عيون الأثر: ذكر الموادعة بين المسلمين واليهود (1/198) من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو المزني، عن أبيه، عن جده.

والبيهقي في: كتاب المديات، باب العاقلة (8/106).

وهذه الطريق ضعيفة جدًا، ولا تصلح للاستشهاد، ولا للاعتضاد كما سبق.

وقد روى أبو داود، عن كعب بن مالك، في قصة قتل كعب بن الأشرف، وفيه: فلما قتلوه، فزعت اليهود والمشركون، فغدوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: طُرق صاحبنا، فقتل فذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن يكتب بينه وبينهم كتابًا ينتهون إلى ما فيه، فكتب النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبينهم، وبين المسلمين عامة صحيفة.

رواه أبو داود في: 14 - كتاب الخراج والإمارة والفيء، 22 - باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة، برقم (3000) (3/401، 402) من طريق محمد بن يحيى بن فارس، عن الحكم بن نافع عن شعيب، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه - وكان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم.

ومحمد بن يحيى بن فارس، هو الذهلي: ثقة جليل. انظر: التهذيب (9/511)، والتقريب (2/217).

والحكم بن نافع: ثقة ثبت. انظر: التهذيب (2/441)، والتقريب (1/193).

وشعيب هو ابن أبي حمزة: ثقة عابد، من أثبت الناس في الزهري، انظر: التهذيب (4/351)، والتقريب (1/352).

والزهري: إمام حجة، ومضى.

وعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب: ثقة. انظر: التهذيب (6/215)، والتقريب (1/488).

وأبوه هو كعب ومالك جده، كما يظهر من قوله - وكان أحد الثلاثة، وقد ثبت سماع عبد الرحمن من جده كما في التهذيب وغيره.

فالحديث - بهذا الإسناد - صحيح.

وقد رواه البيهقي في كتاب الجزية باب من لا تؤخذ منه الجزية من أهل الأوثان: (9/183) من طريق أحمد بن الحسن القاضي، عن أبي سهل بن زياد القطان، عن عبد الكريم بن الهيثم، عن أبي اليمان، عن شعيب، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب، أظنه عن أبيه، وكان ابن أحد الثلاثة الذين تيب عليهم.

وأحمد بن الحسن هو الحيري: إمام ثقة. انظر: سير أعلام النبلاء (17/356)، والوافي للصفدي: (6/306).

وأبو سهل هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان: ثقة. انظر: السير (15/521)، الوافي (8/34).

وعبد الكريم بن الهيثم هو المدير عاقولي: ثقة. انظر: السير (13/335)، والمنتظم (5/120).

وأبو اليمان، هو الحكم بن نافع الحمصي، وسبق قبل قليل.

وعلى هذا فالرواية مرسلّة؛ لأنها عن عبد الله بن كعب، وهو تابعي ويمكن ترجيح رواية أبي داود للجزم الذي فيها، خلافاً لرواية البيهقي التي فيها التردد.

ويلاحظ في هذه الرواية تأخر الكتابة عن بداية العهد المدني، وهذا خلاف ما عليه معظم أهل السير والمؤرخين وغيرهم.

وجمع بعضهم بين الروایتين بأن ما في رواية كعب إنما هو تجديد للموثق الأول، والله أعلم. انظر: الأموال لأبي عبيد: ص (197)، وتاريخ الطبري (2/479)، وكتاب: المجتمع المدني في عهد النبوة للدكتور أكرم ضياء العمري ص (114).

انظر ما سبق في موضوع البيعة.

سورة البقرة: رقم الآية 14 وانظر: تفسير الطبري (1/129)، تفسير البغوي (1/51)، الدر المنثور (1/78)، وهذا أحد الأقوال في الآية.

جاء الحديث بذلك عن ابن عباس:

رواه البخاري في: 61- كتاب المناقب، 23- باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم (4/166).

وفي: 63- مناقب الأنصار، 52- باب إتيان اليهود النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة (4/269).

وفي: 77- كتاب اللباس، 70- باب الفرق (7/59).

ومسلم في: 43 - كتاب الفضائل، 24 - باب في سدل النبي صلى الله عليه وسلم شعره وفرقه، رقم (90) (4/1817).

وأبو داود في: 27 - كتاب الترجل، 10 - باب ما جاء في الفرق، رقم (4188) (4/407).

والترمذي في الشمائل: 3 - باب ما جاء في شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم (29) ص (46).

والنسائي في: 48 - كتاب الزينة، 62 - فرق الشعر (8/184).

وابن ماجه في: 32- كتاب اللباس، 36- باب اتخاذ الجملة والذوائب، رقم (3632) (2/1199).

وأحمد في المسند: (1/246،261).

وانظر في هذا كتاب: "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. ناصر العقل (419-1/410) فهو مهم.

سيأتي بعض ذلك في رسالة العزلة ضمن مبحث: الاستسرار بالدين ضمن هذه السلسلة.

انظر حول موضوع اليهود: دراسة في السيرة لعماد الدين خليل: ص (319-359)، وفقه السيرة للغزالي (257-264، 301، 335، 368).

- 111 سورة القصص: رقم الآية 68.
- 112 وانظر ما يأتي في آخر هذا الفصل في موضوع: عوامل دفع الغربية.
- 113 سورة القصص: رقم الآية 85.
- 114 رواه البخاري في: 65 - كتاب التفسير، 28 - القصص، باب إن الذي فرض عليك القرآن: (6/18).
- والنسائي في الكبرى، أفاده المزي في التحفة، حديث (6094)، (5/135).
- والطبري في التفسير: (20/125).
- ونسبه السيوطي لابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي: الدر (6/445).
- 115 انظر ما سبق في موضوع الحديدية.
- 116 سميت الخضراء لكثرة الحديد والسلاح فيها، كما قال ابن هشام (4/46).
- 117 رواه ابن هشام عن ابن إسحاق بدون إسناد، في ذكر الأسباب الموجبة للمسير إلى مكة (4/47).
- والطبري في التاريخ، ذكر الخبر عن فتح مكة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس.
- والحسين ضعفه ابن معين وأبو حاتم وقال النسائي: متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه يشبه بعضها بعضاً، وهو ممن يكتب حديثه فإني لم أجد في حديثه حديثاً منكراً قد جاوز المقدار.
- وقال الذهبي: ضعفه، وقال ابن حجر: ضعيف.

انظر: تهذيب التهذيب: (2/341)، والتقريب (1/176)، والكاشف (1/170).

ولكن رواه إسحاق بن راهويه في مسنده من طريق ابن إسحاق قال: حدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس.

وإسناد إسحاق حسن، ورجاله ثقات خلا ابن إسحاق فهو صدوق مدلس وقد صرح في هذه الرواية بالتحديث؛ ولذلك قال الحافظ ابن حجر: "هذا حديث صحيح، ورواه الذهلي بتمامه في الزهريات من طريق (أبي إدريس) عن محمد بن إسحاق، لكن ليس فيه تصريح ابن إسحاق بسماعه له من الزهري، والسياق الذي هنا حسن جداً".

المطالب العالية (النسخة المسندة المخطوطة)، كتاب السيرة والمغازي، باب غزوة الفتح: (ل 359-360).

وعزاه الهيثمي في المجمع للطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح. كتاب المغازي والسير، باب غزوة الفتح: (6/166-167).

ولم أجده في مسند ابن عباس في الطبراني الكبير.

وروى أبو داود قصة إسلام أبي سفيان، والتأمين من طريق ابن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس.

14 - كتاب الخراج والإمارة والفيء، 25 - باب ما جاء في خبر مكة، رقم (3021)، (3/416).

وساق البخاري في صحيحه نحوه عن هشام بن عروة عن أبيه.

64- كتاب المغازي، 48 - باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح: (5/91). فهو مرسل. قال ابن حجر: "ولم أره في شيء من الطرق عن عروة موصولاً" الفتح (8/6).

- 118 المجنبية: بضم الميم وفتح الجيم وكسر النون المشددة - هي الكتيبة التي تكون في اليمين واليسرة، فللجيش مجنبتان، انظر: النهاية (1/303).
- 119 سيأتي تخريجه.
- 120 انظر ما سبق في أول هذا الفصل.
- 121 سيرة ابن هشام: (4/205).
- 122 وانظر تفصيلات الوفود في: سيرة ابن هشام (205-247)، ودلائل النبوة للبيهقي: (5/309-416)، طبقات ابن سعد (1/29-359)، ولعله من أوسع المصادر في هذا الموضوع، وزاد المعاد (3/498-512، 595-686).
- 123 انظر ما سبق في أول الموضوع (خطوات بارزة).
- 124 رواه مسلم في: 32 - كتاب الجهاد والسير، 27 - باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل رقم (75)، (3/1397).
- وأبو عوانة في: كتاب الجهاد، بيان كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل (4/195، 196-197).
- والبيهقي في الدلائل، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الجبارين يدعوهم إلى الإسلام (4/376).
- 125 انظر في مراسلات النبي صلى الله عليه وسلم: طبقات ابن سعد (1/258-291) وهو من أوسع المصادر، ومستخرج أبي عوانة (4/176-198)، وزاد المعاد: (3/688-697).
- 126 سيرة ابن هشام (4/21-22)، وانظر: زاد المعاد (3/383)، حيث قال ابن القيم رحمه الله: "والصحيح ما ذكره ابن إسحاق أن كل فئة انحازت عن الأخرى".

وانظر: في غزوة تبوك: المصدرين السابقين، وسيرة ابن كثير (493-3/455)، وكتاب خالد بن الوليد للشيخ محمد صادق عرجون ص (69-56) وهو مهم.

أيلة: بفتح الهمزة مدينة على ساحل البحر مما يلي الشام، وذكر بعضهم أنها التي تعرف اليوم بالعقبة.

127

انظر: معجم البلدان (1/292)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة: ص (35).

جرباء -بفتح الجيم- موضع من أعمال عمان بالبلقاء، وتقع شمال غربي مدينة معان الأردنية على بعد 22 كيلاً تقريباً. انظر: معجم البلدان (2/118)، معجم المعالم: ص (81).

128

أُدْرُح - بفتح الهمزة وضم الراء - بلد في أطراف الشام من أعمال الشرارة ثم من نواحي البلقاء وهي على مقربة من جرباء. معجم البلدان (1/129)، معجم المعالم: ص (81).

129

دومة الجندل -بضم الدال وفتحها- هي بلدة على سيع مراحل من دمشق بينها وبين المدينة المنورة، وهي من قرى الجوف، معجم البلدان (2/487)، معجم المعالم: ص (127).

130

انظر: سيرة ابن هشام (4/159-180)، زاد المعاد: (3/526-592).

131

سيرة ابن هشام (4/291).

132

سورة القصص: رقم الآيات 5،6.

133

سورة النور: رقم الآية 55.

134

سورة التوبة: رقم الآية 33.

135

وسورة الفتح: رقم الآية 28.

وسورة الصف: رقم الآية 9.

سورة التوبة: رقم الآية 12.

136

رواه البخاري في: 65- كتاب التفسير، 9- سورة براءة، 5- باب فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم. (5/203). وهذا لفظه.

137

ورواه النسائي في كتاب التفسير في السنن الكبرى، أفاده المزي في التحفة، رقم الحديث (3330)، (3/33).

وعزاه السيوطي في الدر لابن أبي شيبة وابن مردويه: (4/136).

سبق تخريجه في الفصل الثاني.

138

سورة الصافات: الآيات من 171-182.

139

كما حدث في يوم الأحزاب، وسبق بيانه.

140

سورة النحل: رقم الآية 89.

141

رواه الإمام أحمد: (4/131)، من طريق يزيد بن هارون، أخبرنا حريز بن عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي (والصواب: عن عبد الرحمن بن أبي عوف) عن المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه. ويزيد بن هارون: ثقة متقن عابد. انظر: التهذيب (11/366)، والتقريب (2/372).

142

وحريز هو ابن عثمان: ثقة ثبت. انظر: التهذيب (2/237)، والتقريب (1/159).

وعبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي: ثقة، وقيل: له صحبة. انظر: التهذيب (6/246)، والتقريب (1/494).

فالحديث - بهذا الإسناد - صحيح.

انظر: ما سبق في موضوع الجهر بالدعوة، والعرض على القبائل، وقبلهما في موضوع الاضطهاد.

143

سورة ص: رقم الآية 6.

144

تفسير الطبري: (23/126).

رواه مسلم في: 32 - كتاب الجهاد والسير، 2 - باب تأمير الإمام
الأمرء على البعوث، رقم (3)، (3/1357).

وأبو داود في: 9 - كتاب الجهاد، 9 - باب في دعاء المشركين،
برقم (1612)، (3/83).

والترمذي في: 22 - كتاب السير، 48 - باب ما جاء في وصيته
صلى الله عليه وسلم في القتال، برقم (1617)، (4/162)،
وقال: حديث حسن صحيح.

والنسائي في الكبرى: كتاب السير، 3 - الدعوة قبل القتال (ل 1
14ب).

وابن ماجه في: 24 - كتاب الجهاد، 38 - وصية الإمام، برقم (2858)
(2/953).

والإمام أحمد في المسند: (5/352، 358).

() سبق تخرج حديث بعثه صلى الله عليه وسلم الرسائل،
والإشارة إلى الموضوع جملة - قبل صفحات.

وقد سبق ذكر أمثلة عديدة لذلك في مواطن عديدة، كصبرهم
على اضطهاد قريش، وهجرتهم إلى الحبشة، ثم إلى المدينة،
وموقف الأنصار من البيعتين وفي استقبال المهاجرين، وموقف
المؤمنين - مهاجرين وأنصارًا - في المعارك الكثيرة بينهم وبين
المشركين.

رواه البخاري في: 62 - فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم، 5 - باب "ضمن فضائل أبي بكر": (4/195).

ومسلم في: 44 - كتاب فضائل الصحابة، 54 - باب تحريم سب
الصحابة، رقم (221، 222)، (4/1967)(*).

وأبو داود في: 34- كتاب السنة، 11- باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم (4658): (5/45).
والترمذي في: 50 - كتاب المناقب، 59 - باب رقم (3861) (5/695)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(*) وقع في مسلم - الموضوع الأول، وفي ابن ماجه، وفي فضائل للنسائي: الموضوع الثاني، وفي الكبرى: الموضوع الثاني: عن أبي هريرة. وقد قال خلف الواسطي، وأبو مسعود الدمشقي، وأبو علي الجبائي، والمزي، وابن حجر، وغيرهم: إنه خطأ، انظر: تحفة الأشراف (3/343، 344)، فتح الباري: (36، 7/35).

والنسائي في فضائل الصحابة، مناقب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والنهي عن سبهم رقم (203، 204) ص (179).

وفي الكبرى، 48 - كتاب المناقب، 60 - مناقب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: (ل 109 ب).

وابن ماجه في: المقدمة 11 - باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم (161)، (1/57)(*).

والإمام أحمد في مسنده: (3/11، 54)، وفي فضائل الصحابة، رقم (7-6)، (1/51).

والخطيب في تاريخ بغداد: ترجمة رقم (3596) (7/144).

وله شواهد منها:

عن جابر في تاريخ بغداد ترجمة (1180): (3/149).

وعن أنس في فضائل الصحابة للإمام أحمد رقم (8): (1/53).

ونحوه في تاريخ بغداد، ترجمة (4240): (8/144).

سورة الحديد: رقم الآية 10.

150

سورة النساء: رقم الآية 77.

151

رواه النسائي في: 24 - كتاب الجهاد، 1 - باب وجوب الجهاد: (6/3).

152

والطبري في التفسير، تفسير سورة النساء، (5/170).

وابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير - (1/525).

والحاكم في: كتاب الجهاد، (2/66) وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

والبيهقي في سننه، كتاب السير، باب مبتدأ الإذن بالقتال: (9/11).

ونسبه ابن كثير في التفسير لابن مردويه أيضًا: (1/526).

رووه كلهم من طريق علي بن الحسن بن شقيق، أنبأنا الحسين بن واقد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس.

وعلي بن الحسن بن شقيق: ثقة حافظ. انظر: التهذيب (7/298)، التقريب (2/34).

والحسين بن واقد: ثقة له أوهام. انظر: التهذيب (2/373)، والتقريب (1/180).

وعمر بن دينار: ثقة ثبت. انظر: التهذيب (8/28)، والتقريب (2/69).

وعكرمة: ثقة ثبت، ومضى.

فالحديث - بهذا الإسناد - صحيح.

وقد جمع معظم ما كتب حوله صلى الله عليه وسلم الدكتور صلاح الدين المنجد، في كتاب: معجم ما أُلّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

153

سورة آل عمران: رقم الآية 159.

154

سورة آل عمران: رقم الآية 159.

155

كما في قصة أبي سيفان مع هرقل حين سأله: هل يكذب؟ فقال: لا، وحين سأله: هل يغدر؟ فقال: لا، وسيأتي تخريجها.

156

كما في وصفهم له بالسحر والجنون وغيرها! حاشاه من ذلك صلى الله عليه وسلم.

رواه الترمذي في: 38- كتاب صفة القيامة، 42- باب برقم (2485)، (4/652)، وقال: هذا حديث صحيح.

وابن ماجه في: 5- كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، 174- باب ما جاء في قيام الليل، برقم (1334): (1/423).

وفي: 29- كتاب الأطعمة، باب: إطعام الطعام، برقم (3251)، (2/1083).

والدارمي في: 2- كتاب الصلاة، 156- باب فضل صلاة الليل، برقم (1468)، (1/280).

وفي: 19- كتاب الاستئذان، 4- باب في إفشاء السلام برقم (2635) (2/188).

وأحمد في المسند: (5/451).

والحاكم في: كتاب المبر والصلة (4/160)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وفي: كتاب الهجرة (3/13)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

كلهم من طريق عوف بن أبي جميلة، عن زرارة بن أوفى، عن عبد الله بن سلام.

وعوف: ثقة. انظر: التهذيب (8/166)، والتقريب: (2/89).

وزرارة: ثقة عابد. انظر: التهذيب: (3/322)، والتقريب (1/259).

فالحديث - بهذا الإسناد - صحيح..

159 سبق في الفصل الأول الحديث عن حال البشرية قبل البعثة،
وحال العرب خاصة.

160 هو عمير بن شُييم التغلبي، واسمه منقول من الصقر، لأن الصقر
يقال له: قطامي -بفتح القاف وضمها- شاعر جاهلي. انظر:
خزانة الأدب للبغدادي: (2/370).

161 جزء من حديث أم سلمة في قصة الهجرة إلى الحبشة، وقد سبق
تخرجه.

162 انظر: سيرة ابن هشام (2/29).

163 كما سبق الإشارة إليه في قولهم: إن نبيًا قد جاء زمانه، تتبعه،
ونقتلكم به قتل عاد وإرم.

164 انظر: مقدمة ابن خلدون: (1/266).

وانظر في البيئة الطبيعية للجزيرة العربية: السيرة النبوية لأبي
الحسن الندوي ص (39 وما بعدها).

165 كما سبق في قصة عمر، وجوار العاص بن وائل له.

166 سبق طرف منه في حادث حصار الشعب وغيره.

167 سيرة ابن هشام: (1/294).

168 سبق مرارًا.

169 انظر: كتاب (اليهود في شبه الجزيرة العربية) للدكتور/ محمد
العقيلي: ص (61).

وخبير: ناحية على نحو (165) كيلومترًا من المدينة إلى الشمال
على طريق الشام وكانت سبعة حصون مشهورة بالنخيل، انظر:
معجم البلدان (2/409)، ومعجم المعالم الجغرافية ص (118).

وتيماء: بلد بين الشام ووادي القرى. معجم البلدان (2/67).

وفدك: بتحريك الدال - قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو أكثر وتعرف اليوم بالحائط، معجم البلدان: (4/38). معجم المعالم الجغرافية ص (235).

ووادي القرى: هو المعروف بوادي العلا، شمال المدينة على نحو (350) كيلومترًا منها. معجم البلدان (5/345)، معجم المعالم الجغرافية: ص (250).

انظر: سيرة ابن هشام (2/222).

170

ونجران مدينة معروفة على الطريق بين صعدة وأبها، وهي على نحو (910) كيلومترًا إلى الجنوب الشرقي من مكة. انظر: معجم المعالم الجغرافية ص (314).

رواه البخاري في: 56- كتاب الجهاد والسير، 176 - باب هل يستشفع إلى أهل الذمة؟: (4/31).

171

وفي: 58- الجزية والموادعة، 6- باب إخراج اليهود من جزيرة العرب (4/65).

وفي: 64- كتاب المغازي، 83 - باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته: (5/137) وهذا لفظه.

وروى طرقًا منه في: 3 - كتاب العلم، 39 - باب كتاب العلم (1/37).

وفي: 75 - كتاب المرضى والطب، 17- باب قول المريض: قوموا عني: (7/9).

وفي: 96 - كتاب الاعتصام، 36- باب كراهية الخلاف: (8/161).

ومسلم في: 25 - كتاب الوصية - باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، رقم (20)، وطرقًا منه في (21،22)، (1259-3/1257).

وأبو داود في: 14 - كتاب الخراج والإمارة والفيء، 28 - باب في إخراج اليهود من جزيرة العرب، رقم (3029)، (3/423).

وروى طرفه: النسائي في الكبرى، 27 - كتاب العلم، 11 - كتابة العلم (ل 75 ب، 176أ)، 13 - كتابة العلم في الألواح والأكتاف (ل: 176أ).

ورواه الإمام أحمد في المسند: (1/222).

والبيهقي في السنن، كتاب الجزية، باب لا يسكن أرض الحجاز مشرك: (9/207).

رواه مسلم في: 32 - كتاب الجهاد والسير، 21-باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، رقم (93).

وأبو داود في: 14 - كتاب الخراج والإمارة والفيء، 28 - باب في إخراج اليهود من جزيرة العرب رقم (3030، 3031)، (3/424).

والترمذي في: 22- كتاب السير، 43- باب ما جاء في إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، رقم (1606، 1607) وقال: هذا حديث حسن صحيح: (4/156).

والنسائي في الكبرى: 50- كتاب السير، 78- إجلاء أهل الكتاب: (ل 116أ).

وأحمد في المسند: (1/29).

والبيهقي في السنن، كتاب الجزية، باب لا يسكن أرض الحجاز مشرك (9/207).

وله شواهد منها: حديث أبي هريرة عند البخاري في: 58- كتاب الجزية، 6- باب إخراج اليهود من جزيرة العرب: (4/65).

وفي: 89- كتاب الإكراه، 2- باب بيع المكره (8/56).

وفي: 96- كتاب الاعتصام، 18- باب قوله تعالى: (وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) (8/156).

وعند مسلم في: 23- كتاب الجهاد والسير، 20- باب إجلاء اليهود من الحجاز رقم (61)، (3/1387).

وأبي داود في: 14- كتاب الخراج والإمارة والفيء، 22- باب كيف كان إخراج اليهود؟ رقم (3003) (3/403).

والنسائي في الكبرى: 50- كتاب السير، 78- إجلاء أهل الكتاب: (ل 116أ).

وأحمد في المسند، (2/451).

والبيهقي في السنن، الموضوع السابق: (9/208).

ومنها حديث أبي عبيدة عند الإمام أحمد: (1/195)، وأبي نعيم في الحلية، رقم الترجمة (437) (8/372).

وأيضًا: ترجمة (438)، (8/385)، والبيهقي (9/208) وغيرهما.

كتاب العزلة: ص (48).

سبق مرارًا.

وهذا ما حدث فعلاً، كما في غزوة بدر وغيرها.

سبق تخريج الحديث.

سبق تخريج الحديث.

انظر: دلائل النبوة للبيهقي: (2/431) وسيرة ابن هشام (71-2/70).

ارفضوا: ارجعوا.

رواه ابن إسحاق في السيرة، كما في سيرة ابن هشام، أسماء النقباء وتمام خبر العقبة: (90-2/86).

والإمام أحمد في مسنده: (3/462).

والطبري في التاريخ: (2/364).

173

174

175

176

177

178

179

180

وابن سعد في الطبقات، ذكر العقبة الآخرة (1/221).
و البيهقي في الدلائل، باب ذكر العقبة الثانية (2/444-449).
كلهم من طريق محمد بن إسحاق، حدثني معبد بن كعب بن مالك
عن أخيه عبد الله، عن أبيه كعب.

وهذا إسناد حسن - وقد سبق.

سورة الأنفال: رقم الآية 72.

181

سورة الأنفال: رقم الآية 74.

182

سورة الأنفال: رقم الآية 75.

183

سورة التوبة: رقم الآية 20.

184

سبق تفصيلات هذه الأحداث.

185

سبق الحديث عن أم سلمة مرارًا.

186

سبق الحديث عن إسلام النجاشي، وصلاة النبي صلى الله عليه
وسلم عليه بعد موته، وتسميته له أخًا.

187

كما في حديث المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، في قصة
الحديبية، وفيه قول عروة ابن مسعود الثقفي: إني جئت كسرى
في ملكه، وجئت قيصر، والنجاشي، في ملكهما، والله ما رأيت ملكًا
قط مثل محمد - صلى الله عليه وسلم - في أصحابه، ولقد رأيت
قومًا لا يُسلمونه لشيء أبدًا، وكان عروة رأى ما يصنع الصحابة
بالنبي - صلى الله عليه وسلم - لا يتوضأ وضوءًا إلا ابتدروه، ولا
يبصق بصاقًا إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه،
والحديث سبق في الحديبية.

188

كما حدث حين قتل الأوس كعب بن الأشرف، فاستأذنت الخزرج
رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - في قتل سلام بن أبي
الحقيق، أبي رافع، فأذن لهم فقتلوه، وقد سبق بيان شيء من
ذلك، وانظر: سيرة ابن هشام (3/286).

189

رواه البخاري في 9- كتاب مواقيت الصلاة، 22- باب فضل العشاء (1/141). باب النوم قبل العشاء لمن غلب: (1/142).

وفي: 10- كتاب الأذان، 162- باب خروج النساء إلى المساجد (1/210).

161- باب وضوء الصبيان (1/209).

ومسلم في: 5- كتاب المساجد ومواضع الصلاة، 39- باب وقت العشاء وتأخيرها: (1/441).

والنسائي في: 5- كتاب الصلاة، باب فضل صلاة العشاء (1/239).

6- كتاب المواقيت، آخر وقت العشاء (1/267).

والدرامي في: 2- كتاب الصلاة، 19- باب ما يستحب من تأخير العشاء، رقم (1216)، (1/221).

¹⁹¹ وأحمد في المسند: (6/199، 215، 272).

وابن خزيمة في: كتاب الصلاة، 26- باب الخبر الدال على الرخصة في النوم قبل العشاء رقم (348)، (1/179).

وابن حبان- كما في الإحسان، كتاب الصلاة، ذكر خبر تعلق به من لم يحكم صناعة الحديث فزعم أن تأخير المصطفى صلاة العشاء كان ذلك في أول الإسلام، رقم (1526)، (3/59).

والرواية المذكورة هي في البخاري: (1/210).

وللحديث شواهد عن أنس، وابن عمر، وأبي سعيد، وأبي موسى، وابن مسعود، وجابر، وابن عباس، ومحمد بن المنكدر عن أبيه، وغيرهم.

(191) سبق في حديث ابن عمر.

في حديث عمرو بن عبسة، وسبق مرارًا.

في حديث كعب بن مالك، وسبق أكثر من مرة.

انظر: حديث بريدة السابق في أول موضوع عوامل التمكين، وانظر ما يأتي بعد، في موضوع الجهاد، في الرسالة الثالثة من هذه السلسلة.

كما في حديث أنس السابق في آخر: خطوات بارزة، وسبق فيها الإشارة إلى مراسلاته صلى الله عليه وسلم للملوك وغيرهم.

كما في الآية: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ...) وسبق حديث ابن عباس في سبب نزولها.

زاد المعاد (3/159)، وسيأتي مزيد بسط لذلك في موضوع الجهاد، من الباب الثالث.

من المعلوم أن من دخل في الإسلام ثم خرج منه فهو مرتد حلال دمه وماله لحديث: "من بدل دينه فاقتلوه" رواه البخاري.

انظر: فقه السيرة للغزالي: ص (227)، وراجع ما سبق في أول هذا الفصل.

رواه البخاري في: 64- كتاب المغازي، 29- باب غزوة الخندق وهي الأحزاب: (5/48).

والإمام أحمد في المسند: (4/262)، (6/394).